يوم الجمعة

شرفه وفضله ومكانته في الشريعة الإسلامية

الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي
حفظه الله تعالى

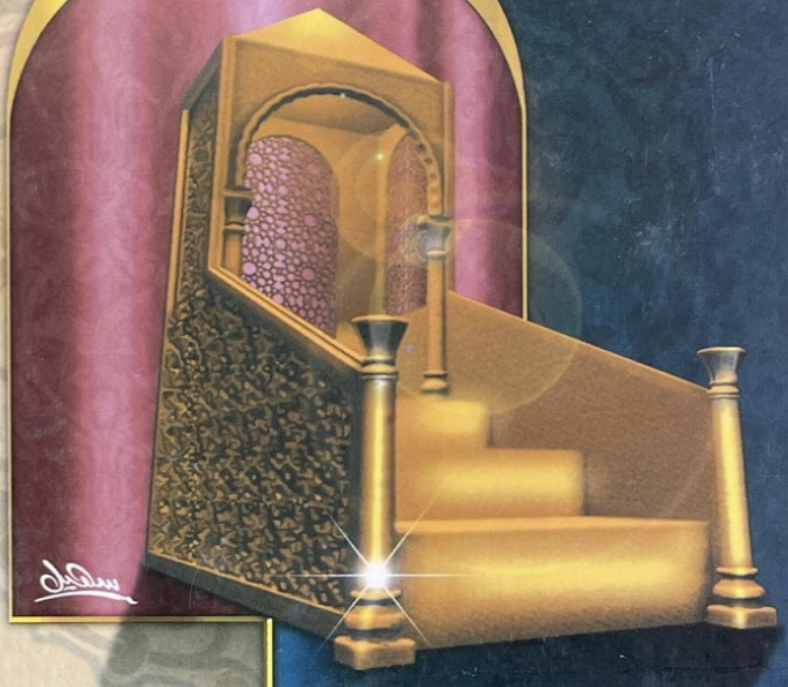

للنشر والتوزيع

يوم الجمعة

شرفه وفضله ومكانته في الشريعة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

العلم ميراث النبي كذا أتى   في النص والعلماء هم وراثه

ما خلّف المختار غير حديثه   فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 2819-2010

ردمك: 2-16-944-9947-978

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

برج الكيفان - الجزائر

الإدارة: جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات: 561344448 (00213)

البريد الإلكتروني: Dar.mirath@gmail.com

يوم الجمعة

شرفه وفضله ومكانته في الشريعة الإسلامية

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

حفظه الله تعالى

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فضَّل أمة محمد ﷺ علىٰ غيرها من الأنام، وخصهم بيوم الجمعة الذي ثبت فضله علىٰ سائر الأيام، وأمرهم بالمبادرة إلىٰ صلاتها في محكم التنزيل؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة:9].

والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان علىٰ نبيِّنا محمد الصادق المصدوق الأمين وصحبه الطاهرين والغرِّ الميامين وآله العاضِّين علىٰ سنته بالنواجذ والمتمسكين بالوحيين حتىٰ أتاهم اليقين وعلىٰ كل من تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فإن من فضَّلهم الله بالعلم ليعلمون ما ليوم الجمعة من المكانة والخصائص والفضائل ما لم يكن لغيره من أيام الأسبوع؛ إذ هو بمدلول النصوص سيِّدُها وخيرُها؛ كما ثبت في صحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ**»[1].

---

(١) مسلم في الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، حديث (٨٥٤)، والنسائي في الجمعة، باب ذكر فضل يوم الجمعة، حديث (١٣٧٣)، والترمذي في أبواب الجمعة، باب ما جاء في فضل يوم الجمعة، حديث (٤٨٨) وقال: «حسن صحيح».

وهو بحقٍّ سيِّد الأيام وأشرفها؛ كما ذكر الحاكم في مستدركه من حديث عبدالرحمن بن صخر مرفوعًا: «**سَيِّدُ الأَيَّام يَوْمُ الْجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلا يَوْمَ الْجُمُعَةِ**»(١).

ومثلهما: ما جاء في صحيح ابن حبان مرفوعًا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلا تَغْرُبُ عَلَىٰ يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا وَهِيَ تَفْزَعُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ إِلا هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**»(٢).

وكم من حديث صحّ متنُه وعلا سندُه قد جاء في فضل هذا اليوم الذي أكرم الله به أمة محمد ﷺ وجعله من خصائصها علىٰ سائر الأمم:

- كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللهُ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ لَهُ، وَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ: الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَىٰ بَعْدَ غَدٍ**»(٣).

- **ومثل ذلك**: ما ثبت في صحيح مسلم وسنن النسائي عن أبي هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ**

---

(١) مستدرك الحاكم في الجمعة (١/ ٤١٢رقم١٠٢٦) وقال: «صحيح علىٰ شرط مسلم؛ فقد استشهد بعبد الرحمن بن أبي الزناد، ولم يخرجاه: سيد الأيام».

(٢) صحيح ابن حبان في الصلاة (٧/ ٥رقم٢٧٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في الجمعة: باب فرض الجمعة، حديث (٨٧٦)، ومسلم في الجمعة: باب هِدَايَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، حديث (٨٥٥)، والنسائي في الجمعة: باب إيجاب الجمعة، حديث (١٣٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٣ و٢٤٩ و٢٧٤ و٣١٢ و٥٠٢)، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؛ فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَىٰ يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ»[١].

- كما أكرم الله أمة محمد ﷺ بالثواب الكثير علىٰ العمل القليل في هذا اليوم؛ فقد روىٰ أصحاب السنن من حديث أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَاغْتَسَلَ وبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَىٰ وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[٢]، وهو حديث حسن، وإسناده صحيح.

- **ومثل ذلك في الفضل**: ما جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لَسَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا»[٣]. وفي رواية عند الإمام أحمد أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ

---

(١) أخرجه مسلم في الجمعة: باب هِدَايَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، حديث (٨٥٦)، والنسائي في الجمعة: باب إيجاب الجمعة (١٣٦٨).

(٢) رواه أبو داود في الطهارة، باب فِي الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث (٣٤٥)، والنسائي في كتاب الجمعة: باب فضل غسل يوم الجمعة، حديث (١٣٨١)، وفي باب فضل المشي إلىٰ الجمعة، حديث (١٣٨٤)، وفي باب الفضل في الدنو من الإمام، حديث (١٣٩٨)، والترمذي في أبواب الجمعة: باب فضل غسل يوم الجمعة، حديث (٤٩٦)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة حديث (١٠٨٧).

(٣) رواه البخاري في الجمعة: باب الساعة التي في يوم الجمعة، حديث (٩٣٥)، ومسلم في الجمعة: باب في الساعة التي في يوم الجمعة، حديث (٨٥٢). والنسائي في الجمعة: باب ذكر الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة، حديث (١٤٣١) و(١٤٣٢)، والترمذي في الجمعة: بَاب مَا جَاءَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُرْجَىٰ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، حديث=

لَسَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَهِيَ بَعْدَ الْعَصْرِ»[١].

- ومن فضائله أيضًا: أنه تكفَّر فيه السيئات؛ لما ثبت عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ». رواه البخاري[٢].

- ومن فضائله أيضًا: أنَّ الوفاة يوم الجمعة أو ليلته من علامات حسن الخاتمة، حيث يأمن المتوفىٰ فيه أو في ليلته من فتنة القبر؛ لحديث عبد الله بن عمرو ﵄ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ». رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني[٣].

- كما من فضائله وخصائصه: أنه عيدٌ متكرِّر في الأسبوع؛ كما في

=(٤٩١) وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها: بَاب مَا جَاءَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُرْجَىٰ فِي الْجُمُعَةِ، حديث (١١٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٣٠ و٢٥٥ و٢٨٠ و٢٨٤ و٣١٢ و٣٩٨).

(١) مسند أحمد (٢/ ٢٧٢).

(٢) رواه البخاري في الجمعة: باب الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ، حديث (٨٨٣).

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٦٩ و١٧٦) والترمذي في الجنائز: باب ما جاء في من مات يوم الجمعة، حديث (١٠٧٤). وقال: «هذا حديث غريب، وهذا حديث ليس إسناده بمتصل؛ ربيعة بن سيف إنما يروي عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو، ولا نعرف لربيعة بن سيف سماعًا من عبد الله بن عمرو». انظر: أحكام الجنائز للألباني (ص٣٥).

سنن ابن ماجه من حديث أبي لبابة ابن عبد المنذر قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَىٰ وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خِلالٍ: خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ، وَأُهْبِطَ فِيهِ إِلَىٰ الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّىٰ اللهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يَسْأَلُ اللهَ الْعَبْدُ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلا سَمَاءٍ وَلا أَرْضٍ وَلا رِيَاحٍ وَلا جِبَالٍ وَلا شَجَرٍ إِلا وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ»(١).

هذه -أيُّها الأخوة الكرام- بعضُ خصائص يوم الجمعة وفضائله التي يحرزها المسلمون الذين يسعون إلىٰ صلاة الجمعة، المتميزة بتقدُّم خطبتين، يليهما ركعتان، يجهر الإمام فيهما بالقراءة، وهو كما أسلفت من خصائص هذه الأمة، وهو عيد متكرِّر في كل أسبوع رحمةً بأهل الإيمان الذين يسارعون إلىٰ الخيرات وهم لها سابقون، وفي الأعمال الصالحة دومًا يتنافسون، أولئك علىٰ هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون.

وإذ قد علمنا ما لهذا اليوم من الفضائل والخصائص في حياة العمل، فلنستمع إلىٰ نصوص من الكتاب والسنة من الترغيب في العناية به: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة: 9].

- **ومن السنة:** ما رواه أحمد عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ عِنْدَهُ، وَلَبِسَ مِنْ أَحْسَنِ ثِيَابِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ فَيَرْكَعَ

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها: باب في فضل الجمعة، حديث (١٠٨٤).

مَا شَاءَ اللهُ لَهُ أَنْ يَرْكَعَ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ، كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ». قَالَ: وَيَقُولُ أَبُو هَرَيْرَةَ: وَزِيَادَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَيَقُولُ: إِنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرٍ(١).

وغير ذلك من النصوص في الترغيب في العناية بيوم الجمعة كثير.

فينبغي للمسلم أن يهتم بشأن الجمعة عيد الأسبوع وميزة هذه الأمة، ويفرح بقدوم يومها لما فيه من الفضائل والنفحات لأهل الإسلام والإيمان والإحسان والجمع والجماعات، ما لا يوجد فِي يوم سواه من سائر الأيام والشعائر الأخرىٰ من العبادات.

فيا أهل القلوب الواعية، والآذان الصاغية، والجوارح المنقادة لله الطائعة اسمعوا نداء الحق سبحانه وهو يقول -وقوله الحق-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة الجمعة: ٩].

واعلموا -رحمكم الله- أن فِي تلبية النداءات الرحمانية الحياة الطيبة المباركة فِي الدنيا والبرزخ والآخرة، وذلك لمن وُفِّق للاستجابة لنداء الله ونداء رسوله -عليه الصلاة والسلام-؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤].

وبجانب هذا الترغيب في العناية والرعاية ليوم الجمعة، فقد وردت نصوصٌ من السنة المطهَّرة كثيرة وصحيحة، تدل علىٰ الوعيد الشديد

---

(١) مسند أحمد (٣/ ٨١). ورواه أبو داود في الطهارة: باب فِي الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث (٣٤٣) نحوه.

والعقوبات العاجلة والآجلة لمن يتعمد ترك صلاة الجمعة ويتخلَّف عنها، وما ذلك إلا لأن الجمعة عزمةٌ من عزمات الله، من تركها من أهل وجوبها بدون عذر شرعي عاقبه الله بالختم علىٰ قلبه حتَّىٰ لا يلج إليه خير، ولا يخرج منه شرٌّ، وأصابته غفلة، لن ينجو منها إلا بالرجوع الحق إلىٰ تعظيم الله الذي يتجلَّىٰ فِي امتثال أمره، واجتناب نَهيه، ومتابعة رسوله ﷺ؛ من تلكم النصوص:

١- ما زواه أحمد ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَىٰ رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ**»(١).

٢- وما رواه مسلم من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما أنَّهما سمعا النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عَلَىٰ أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ**»(٢).

٣- وما رواه الترمذي وغيره عن أبي الجعد الضمري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ -ثَلاثَ مَرَّاتٍ- تَهَاوُنًا بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قَلْبِهِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٤ و٤٠٢ و٤٢٢ و٤٦١)، ومسلم في المساجد: باب فَضْلِ صَلاَةِ الْجَمَاعَةِ وَبَيَانِ التَّشْدِيدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهَا، حديث (٦٥٢).

(٢) رواه مسلم في الجمعة: باب التَّغْلِيظِ فِي تَرْكِ الْجُمُعَةِ، حديث (٨٦٥).

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الجمعة: (٥٠٠) وقال: «حسن». وأبو داود في الصلاة: بَاب التَّشْدِيدِ فِي تَرْكِ الْجُمُعَةِ، حديث (١٠٥٢)، والنسائي في الجمعة: باب التَّشْدِيدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجُمُعَةِ، حديث (١٣٦٩)، وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها: باب مَا جَاءَ فِي مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، حديث (١١٢٥)، وأحمد (٣/ ٤٢٤).

٤- وما أخرجه الطبراني فِي الكبير عن عبد الله بن أبي أوفىٰ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَمْ يَأْتِهَا، ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ وَلَمْ يَأْتِهَا -ثَلاثًا- طُبِعَ عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَجُعِلَ قَلْبُهُ قَلْبَ مُنَافِقٍ**»[١]. قال العراقي: «وإسناده جيد»[٢].

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل بِمنطوقها علىٰ الوعيد الشديد المترتب علىٰ التهاون بصلاة الجمعة الَّتِي أسعد الله بيومها وفضائل إقامتها هذه الأمة المحمدية، وإن لقارئ هذه النصوص الوعيدية الَّتِي ترتعد منها فرائص أهل الخشية والإيْمان -إن كان من أهل الخشية والإيْمان- لعبرةً ومزدجرًا؛ لما فيها من الموعظة والترهيب لمن تتثاقل رؤوسهم عن القيام بهذه الفريضة العظيمة التي فاقت جميع الفرائض بكيفيتها وفضلها وأجرها، والله المستعان.

ومع هذا الوعيد الشديد فإن الجمعة تسقط عن خمسة:

١- عن المرأة فليس عليها جمعة ولا جماعة، لا فرق بين صغيرة وكبيرة.

٢- وعن العبد المملوك لاشتغاله بخدمة مواليه.

٣- والمريض فلا تجب عليه الجمعة لعدم قدرته علىٰ الذهاب والإياب.

٤- والصبي لأنه غير مكلَّف، فلا يكلَّف بحضور الجمعة وجوبًا.

---

(١) كما في مجمع الزوائد للهيثمي (٢/ ٤٢٣رقم٣١٧٩).

(٢) نقله الشوكاني في نيل الأوطار (٣/ ٢٧٢- الجيل).

٥- والمسافر كذلك لا تجب عليه الجمعة؛ لأنه ليس مقيمًا، وقد كان النبيُّ ﷺ وأصحابه الكرام يسافرون ولا يصلون الجمعة أثناء سفرهم، وإنما يصلُّون ظهرًا وعصرا جمعًا وقصرًا، كما فعلوا يوم عرفة وكان يوم جمعة، وذلك عام حجة الوداع.

والدليل علىٰ اعتبار هؤلاء الأصناف معذورين من إقامة الجمعة: هو ما رواه أبو داود من حديث طارق بن شهاب البجلي رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوِ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ**»(١). ويلحق بهم المسافر؛ لأن المسافر غير مقيم كما أسلفت.

هذا وقد اشترط العلماء لصحة صلاة الجمعة شروطًا - علىٰ خلاف بينهم-، وأهم تلك الشروط:

- أن تكون جماعة، ثلاثة فما فوق، وقيل: اثنان فما فوق.

- ومن أهم شروطها: تقدُّم خطبتين مفيدتين نافعتين، ويشرع فيهما أن تكونا فصيحتين بليغتين مرتبتين، من غير تمطيط ولا تقعير، ولا تكون ألفاظهما ألفاظًا مبتذلة ملفَّقة، فإنها إن كانت كذلك فلا تقع في النفوس موقعًا كاملًا، كما لا تكون ألفاظهما وحشية، فيفوت مقصودها، بل يختار الخطيب المؤهَّل ألفاظًا جزلة مفهمة مبيَّنة.

قال ابن القيم رحمه الله: «إنما كانت خطب النبيِّ ﷺ تقريرًا لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعدَّ الله لأوليائه

(١) رواه أبو داود في الصلاة: باب الْجُمُعَةِ لِلْمَمْلُوكِ وَالْمَرْأَةِ، حديث (١٠٦٧).

وأهل طاعته، وما أعدَّ لأعدائه وأهل معصيته، فتمتلئ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره؛ التي إنما تفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق، وهي النوح علىٰ الحياة، والتخويف بالموت؛ فإن هذا أمرٌ لا يحصِّل في القلب إيمانًا بالله، ولا توحيدًا له، ولا معرفة خاصة، ولا تذكيرًا بأيامه، ولا بعثًا للنفوس علىٰ محبَّته والشوق إلىٰ لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويُبلي التراب أجسامهم! فيا ليت شعري أيُّ إيمان يحصل بهذا؟ وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟ ومن تأمَّل خُطب النَّبِيِّ ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدىٰ والتوحيد، وذكر صفات الرب ﷻ، وأصول الإيْمان الكبيرة، والدعوة إلىٰ الله، وذكر آلائه تعالىٰ الَّتِي تحببه إلىٰ خلقه، وأيامه الَّتِي تخوِّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلىٰ خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون، وقد أحبوه وأحبهم»[1].

قلت: وإنه لَيَجِبُ أن يُختار لإمامة الناس فِي صلاتِهم علماؤهم الربانيون، وخطباؤهم البلغاء الناجحون، الذين يستطيعون أن يُعدُّوا لكل زمان ومكان ما يجب أن يقال فيه، ويناسب أهله، ويصلح شأن ذويه، وعندما تُسْنَد الخطابة إلىٰ هذا الصنف من العلماء فِي المدن والقرىٰ استطاع الناس أن يفقهوا دين الله الذي ارتضاه لهم، ويفرِّقوا بين الحلال والحرام، ويميِّزوا بين السنن والبدع، ويرغبوا فيما عند الله من خيري الدنيا والآخرة، بواسطة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٢٣-٤٢٤) الرسالة، ط ٢٧.

أولئك الخطباء الناجحين الذين ترسَّموا خطىٰ نبيِّهم الصادق المصدوق الأمين وخلفائه الراشدين وجميع أصحابه الغرِّ الميامين -صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله وعليهم أجمعين-.

كما ينبغي أن يعلم أن من هدي النبيِّ ﷺ في خطبه:

* البدء بالحمد لله، والثناء الحسن الذي يليق بعظمته وجلاله، ثُمَّ النطق بالشهادتين فِي كلتا الخطبتين؛ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وإنه لأسوة أمته، فيبدأون بما بدأ به في مستهلِّ خطبهم بحمد الله، والثناء علىٰ رسوله؛ تأسيًّا به في فعله وتأدُّبه مع الله، ورجاء حصول خيره، ونيل بركته.

فقد ثبت في سنن أبي داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**كُلُّ كَلامٍ لا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ**»(١).

* كما يُشرع للخطيب فعله قراءةُ شيء من القرآن الكريم فِي الخطبة، لاسيما الآيات الَّتِي فيها ذكرُ الوعد والوعيد، والتذكير بأيام الله، وكمال الرقابة منه لخلقه، وذكر المعاد والحشر والنشر والجزاء علىٰ الأعمال؛ فقد كان النَّبِيُّ ﷺ يفعل ذلك فِي خطبه بصفة دائمة؛ فقد روىٰ مسلم وغيره عن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: مَا أَخَذْتُ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إِلا عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلَّ جُمُعَةٍ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب: باب الهدي في الكلام، حديث (٤٨٤٠)، ورواه ابن ماجه في كتاب النكاح: باب خطبة النكاح، حديث (١٨٩٤)، وأحمد (٢/ ٣٥٩) نحوه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث=

وروىٰ أبو داود أيضًا عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ «ص» فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ نَزَلَ فَسَجَدَ، وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ»[1]. وإسناده حسن.

ففي هذين النصين دليلٌ صريح علىٰ مشروعية قراءة شيء من القرآن العظيم أثناء الخطبة؛ لِمَا في القرآن من المواعظ البليغة، والقوارع الزاجرة، والترغيب والترهيب؛ ما يفيد وينفع ويكفي السامع اللبيب، ولا خلاف بين العلماء فِي استحباب ذلك، وإنَّما الخلاف فِي وجوب قراءة القرآن فِي الخطبة، وعلىٰ كل حال؛ فإنه يحسن بالخطيب أن يحرص علىٰ كمال الموعظة، وحسن عرضها، ولن يتأتَّىٰ له ذلك إلا إذا أكثر فِي خطبته من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الَّتِي تأخذ بمجامع القلوب، وتنير درب الهدىٰ والنور إلىٰ طريق الحق وإلىٰ صراط مستقيم.

وأما بيان كيفية أداء صلاة الجمعة بعد الخطبتين؛ فإنها تصلَّىٰ ركعتين يجهر فيهما الإمام بالقراءة علىٰ إثر الخطبتين، وتتعلق بها سنن كثيرة؛ منها:

* استحباب قراءة سورتي «الجمعة» و«المنافقين» أو قراءة سورتي ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و«الغاشية»؛ لما ثبت من حديث النعمان ابن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلاةِ الْجُمُعَةِ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾

=(٨٧٢) و(٨٧٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة: باب الرجل يخطب علىٰ قوس، حديث (١١٠٠) و(١٢٠٢) و(١١٠٣)، والنسائي في كتاب الجمعة: باب القراءة في الخطبة، حديث (١٤١١)، وأحمد (٦/ ٤٦٣).

(١) رواه أبو داود في سجود القرآن: باب السُّجُودِ فِي «ص»، حديث (١٤١٠).

وَ«الْغَاشِيَةَ» فِي الرَّكْعَتَيْنِ»[١].

وتارة يقرأ فِي الأولىٰ بسورة الجمعة، وفِي الثانية بسورة: «إذا جاءك المنافقون» كما فِي حديث عبيد الله بن أبي رافع: «أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ اسْتَخْلَفَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَصَلَّىٰ بِهِمْ أَبُو هُرَيْرَةَ الْجُمُعَةَ فَقَرَأَ سُورَةَ «الْجُمُعَةِ» فِي الرَّكْعَةِ الأُولَىٰ وَفِي الثَّانِيَةِ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾، فَقَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَلَمَّا انْصَرَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَشِيتُ إِلَىٰ جَنْبِهِ فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ قَرَأْتَ سُورَتَيْنِ سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَقْرَأُ بِهِمَا فِي الصَّلاةِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ بِهِمَا». رواه مسلم[٢].

ففي هذين النصين دليل واضح علىٰ مداومة النَّبِيِّ ﷺ علىٰ قراءة تلك السور فِي صلاة الجمعة، ولنا فيه الأسوة الحسنة، فيحسن أن نداوم عليها إحياءً للسنة وتحقيقًا للغاية النبوية الشريفة.

* ومما يستحبُّ أيضًا في الخطبتين والصلاة: قصر الخطبتين وطول الصلاة الذي لم تكن معه مشقَّة علىٰ المأمومين، وذلك دليل علىٰ فقه الإمام في دينه؛ فقد روىٰ أحمد ومسلم عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، حديث (٨٧٨)، وأبو داود في كتاب الصلاة: باب ما يقرأ في الجمعة، حديث (١١٢٢ و١١٢٣)، والترمذي في كتاب العيدين: باب القراءة في العيدين، حديث (٥٣٣)، والنسائي في كتاب الجمعة: باب القراءة في صلاة الجمعة، حديث (١٤٢٣ و١٤٢٤)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة: باب القراءة في العيدين، حديث (١٢٨١)، وأحمد (٤/ ٢٧١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، حديث (٨٧٧).

مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»[١].

والمئنَّة: العلامة والمظنَّة.

وكذلك كان يفعل النبيُّ ﷺ كما في حديث عبد الله بن أبي أوفىٰ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُطِيلُ الصَّلاةَ وَيَقْصُرُ الْخُطْبَةَ»[٢].

ففي هذين الحديثين: دليلٌ علىٰ مشروعية تطويل الصلاة طولًا مناسبًا للخطبة لا مشقة فيه علىٰ المأمومين، ودليلٌ علىٰ مشروعية قصر الخطبة مع اشتمالها علىٰ أداء الغرض منها؛ ألا وهو نصح الخلق، وتذكيرهم بأصول إيْمانِهم، ومحاسن دينهم، ويوم حشرهم ونشورهم وجزائهم علىٰ أعمالهم؛ لكي يستيقظوا فيتزودوا لسفرهم المؤكد إلىٰ الله بطاعته وتقواه ومتابعة رسوله -عليه الصلاة والسلام- الذي اصطفاه ربه ورفع قدره وهداه؛ فيكون ذلكم التذكير والبيان وسيلة نافعة إلىٰ موجبات ثواب الله ونيل كرمه ورضاه.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٦٩)، وأحمد (٤/ ٢٦٣).

(٢) رواه النسائي في كتاب الجمعة: باب ما يستحب من تقصير الخطبة، حديث (١٤١٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧١رقم٤٢٢٥ و٤٢٢٦) وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين».

فصل

ومما يحسن ذكرُه: أن ندوِّن بعض الصفات التي تجب ويحسن توفُّرُها في الخطيب:

الصفة الأولىٰ: القوة في الأداء تأسِّيًا بالنبيِّ ﷺ؛ فقد ثبت عنه: أَنَّهُ إِذَا خَطَبَ اِحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ. وَكَانَ يَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَىٰ» وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**»(١).

الصفة الثانية: سلامة العقيدة والمنهج، والسلوك الحسن؛ وذلك بأن يكون بريئًا من البدع في العقيدة والشريعة، وأن يكون حسن الأخلاق في التعامل مع ربه ومع الخلق أجمعين.

الصفة الثالثة: أن يكون فصيح اللسان، سليمًا من اللحن في اللغة العربية؛ كي يفهم المعنىٰ من الكلام الذي يخاطب به الناس.

الصفة الرابعة: أن يكون ذا توسُّع في العلوم الشرعية ووسائلها.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث (٨٦٧)، والنسائي في كتاب صلاة العيدين: با كيف الخطبة، حديث (١٥٧٨)، وابن ماجه في المقدمة: باب اجتناب البدع والجدل، حديث (٤٥)، من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

الصفة الخامسة: مواكبة الأحداث، ومعرفة الزمن الذي يعيش فيه، والوسط الذي يعاصر ذويه؛ إذ إن ذلك من أقوىٰ أسباب نجاح الدعوة إلىٰ الله في مجتمعات الخلق.

الصفة السادسة: اختيار الأسلوب الحسن في عرضه للموعظة التي هي الغرض من الخطبتين.

الصفة السابعة: أن يكون أعلم القوم بالعلوم الشرعية ووسائلها.

الصفة الثامنة: أنه يجب علىٰ الخطيب أن يُعدَّ لكل وقت ما يناسبه، لاسيما عند وقوع الفتن والنوازل؛ كي يكون الناس علىٰ بصيرة من أمرهم.

ونحن في هذا الزمن الذي فشا فيه الفكر الإرهابي والتكفيري الموروث عن قوم سلكوا مسلك الخوارج؛ الذين قيل في وصفهم بأنهم: «شَرُّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ» وأنهم: «**كِلابُ النَّارِ**» وأنهم: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ**» إلىٰ غير ذلك من الصفات الذميمة. وأعني بالقوم الذين سلكوا مسلك الخوارج في التكفير والعنف والتدمير هم البنَّائيُّون نسبةً لمؤسس فرقة الإخوان المسلمين وهو حسن البنا، والقطبية نسبة لسيد قطب، والفرقة الثالثة هي السرورية نسبة لمحمد بن سرور زين العابدين، وهذه الفرق الثلاث من أشهر الفرق المعاصرة التي حملت لواء الخروج علىٰ السنة البيضاء وعلىٰ الجماعة.

ولكل فرقة من هذه الفرق أتباع كُثُر لا في العالم العربي والإسلامي، بل لا يخلو منها قطر من الأقطار، وكم من فساد في الأرض يتعلَّق بأمر الدين والدنيا قد نشأ عن معتقداتهم الفاسدة ومناهجهم المنحرفة عن جادة أهل

السنة والجماعة. وقد ابتليت بلاد الحرمين المملكة العربية السعودية بهذه الفرق الضالة، وأوصلت برامج دعواتها إلىٰ شباب هذه البلاد، فاقتنع بعض الشباب من الذكور والإناث بمناهجهم السيئة التي تنضح بالتكفير لعموم المسلمين حكامًا ومحكومين، وذلك باسم الدين الإسلامي الحنيف. ولا شك أن دين الإسلام بريء من المعتقدات الفاسدة والمناهج التكفيرية التي لا تصدر إلا من الحاقدين علىٰ أهل السنة والجماعة حقًّا وحقيقة.

ولقد تصدىٰ للرد علىٰ هذه الفرق الثلاث الكبرىٰ أئمة العلم من أهل العقيدة الصحيحة والمنهج السليم فبيَّنوا ضلالهم الذي نثروه في كثير من صفوف الشباب ذكورًا وإناثًا ممن قلَّ نصيبُهم من العلم الشرعي انطلاقًا منهم إلىٰ حشد جنود للخلافة الإسلامية لتقوم علىٰ أكتافهم كما زعموا، والذي ينبغي التنبيه عليه أن الفكر المضلَّ قد عمَّ الكثير من بلدان المسلمين؛ ومنها المملكة العربية السعودية حيث غزاها منهج الفكر الإرهابي والعنف المدمر الناشئين عن المنهج التكفيري الذي سبب الشرَّ المستطير؛ كقتل الأنفس المعصومة ظلمًا وعدوانًا، وتدمير المنشآت الحيوية من اقتصادية ونحوها، وترويع للآمنين في الإقامة والسفر، والبر والجو والبحر، ولا يزالون في غيِّهم يعمهون، وفي ضلالهم يتقلبون، وسوف يُجزون بما كانوا يكسبون، في يوم يُنادىٰ فيه: كل غادر بغدرته، ويُنصب له لواء عند استه، ويُقال عنه: هذه غدرة فلان، ولكن الخوارج الطغاة لا يعقلون.

وإذ كان الأمر كذلك؛ فإن الواجب علىٰ خطباء الجوامع في كافة مناطق المملكة العربية السعودية أن ينشئوا خطبًا يبيِّنون فيها خطر الفكر الضالِّ المضلِّ، وخطر المروجين له في هذه البلاد العزيزة -حرسها الله-،

ويحذِّرون من كتب الإخوان المسلمين، وكتب سيد قطب، وكتب من نهج نهجه، ويحذِّرون من كل فكر يعارض عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة، ويهتمون أشد الاهتمام بذلك. ونسأل الله أن ينصر أهل السنة في كل زمان ومكان، ويهدي ضال المسلمين إلىٰ الحق المبين، فإن أبوا من أسباب الهداية؛ فنسأل الله أن يكفي المسلمين شرَّهم وضررهم؛ فإنه أكرم مسؤول وخير مأمول.

فصل

ومما هو جدير بالمعرفة أن في صلاة الجمعة حِكمًا عظيمة عُرفت بالتتبع والاستقراء؛ أذكر منها ما يلي:

* اجتماع كلمة المسلمين ووجود التآلف بينهم، إذ في هذا اليوم المبارك يتركون أشغالهم عند حلول وقت الصلاة، ويجتمعون في مسجد واحد أو مساجد متعددة؛ وذلك بحسب الحاجة التي لابدَّ من سدِّها.

* وفي صلاة الجمعة يتحقق معنىٰ عظيم وهو المساواة بين المسلمين؛ إذ يكون المسلم الفقير بجانب المسلم الغني بلا فارق بينهما، ويقف الخادم بجانب المخدوم، ووضيع النسب بجانب رفيع النسب؛ لا فضل لعربي علىٰ أعجمي إلا بالتقوىٰ.

* **ومنها**: أن جميع الحاضرين يسمعون من خطيبهم الحكم العظيمة، والمواعظ النافعة المفيدة، والنصائح المؤثرة في القلوب؛ التي تدعوهم إلىٰ إصلاح شؤونهم المتعلقة بأمر الدنيا والبرزخ والآخرة.

* **ومنها**: أنها مقرٌّ تعليم يستفيد منها صاحب الحاضرة والبادية، فتحسن عقائدهم وعباداتهم، وتطيب أخلاقهم وسلوكهم؛ بسبب ما سمعوه من الإرشادات والتوجيهات، والترغيب والترهيب، والدعوة إلىٰ السنن، وهجر البدع والضلالات، ونبذ العادات السيئة والأمراض الاجتماعية؛ كل ذلك بأسلوب حكيم، وعبارات جذابة تفيد المستمعين،

ولا غرابة أن نعتبر الجمعة كمدرسة دينية تربي المحبين لها والحريصين على حضورها، وتهذِّبهم مما قد يؤثر على عقيدتهم وسلوكهم، وتسلك بهم الصراط المستقيم.

* ومنها: أنها من أكبر الشعائر الإسلامية التي تتكرر في الأسبوع، فتتجلى فيها عزة الإسلام ورفعة المسلمين حينما يجتمعون في مسجد أو مساجد مستقبلين قبلة واحدة بدون فوارق بينهم، بل جميعهم متوجهون إلى ربهم الكريم راغبين راهبين، يرجون رحمته ويخشون عذابه الأليم. وكم من حِكَم غير ما ذكرت تؤخذ من الجمع والجماعات التي لها أعظم تأثير في قلوب المسلمين. ولها أقوى حافز إلى الشهادة بعظمة الإسلام والرغبة فيه، فالحمد لله الذي فضَّل أمة محمد ﷺ بفضائل جمَّة على سائر الأمم؛ ومنها هذه الشعيرة الإسلامية صلاة الجمعة التي هدانا الله لها، وأضلَّ عنها من كان قبلنا؛ حكمةً منه وعدلًا، ورحمةً منه وفضلًا؛ وهو أرحم الراحمين ورب العالمين. هذا وإن أوَّل جمعة صلاها النبيُّ ﷺ بعد مقدمه المدينة بأربعة أيام؛ حيث أدركه وقتها في بني سالم بن عوف صلاها في بطن الوادي.. فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة، ولم يُنقل عنه أنه بعد ما صلاها صلَّى الظهر بعدها، فتبًّا لقوم إذا انتهوا من صلاة الجمعة صلَّوا الظهر. وفعلُهم هذا من البدع المحدثة التي ما أنزل الله بها من برهان. وقد خطب النبيُّ ﷺ في ذلك الموضع، فلما انتهى من خطبة الجمعة وصلاتها ركب راحلته ويمَّم المدينة.

فصل

ومما ينبغي التذكير به: أن من هدي النبيِّ ﷺ تعظيم يوم الجمعة وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها دون غيره من بقية أيام الأسبوع؛ من تلكم العبادات والسنن ما يلي:

* **السنة الأولىٰ**: استحبابُ قراءة سورتي ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ في فجر يومها، وقد ذكر ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ الحكمة من قراءتهما فقال: «إنما كان النبيُّ ﷺ يقرأ هاتين السورتين في فجر يوم الجمعة؛ لأنهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها؛ فإنهما اشتملتا علىٰ خلق آدم عليه السلام، وعلىٰ ذكر المعاد، وحشر العباد؛ وذلك يكون يوم الجمعة، وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمة بما كان فيه ويكون»[1].

وقد ورد في مشروعية قراءتهما ما رواه أحمد فِي مسنده ومسلم فِي صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي فِي سننهم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ «الم السَّجْدَة» وَ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ وَفِي صَلاةِ الْجُمُعَةِ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ وَالْمُنَافِقِينَ»[2].

---

(١) نقله عنه العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في زاد المعاد (١/ ٣٧٥).

(٢) رواه أحمد فِي المسند (ج١ ص٢٢٦ و٣٤٠ و٣٥٤). ومسلم فِي كتاب الجمعة، باب ما يقرأ فِي يوم الجمعة (ج٢ رقم ٦٤-٨٧٩ ص٥٩٩)، وأبو داود فِي كتاب الصلاة، باب ما يقرأ فِي صلاة الصبح يوم الجمعة (ج١ رقم ١٠٧٥ ص٢٨٢)، والنسائي فِي كتاب الجمعة، باب القراءة فِي صلاة الجمعة، لسورة الجمعة والمنافقين، حديث (١٤٢١). وروىٰ أبو داود فِي كتاب الصلاة، باب ما يقرأ فِي صلاة الصبح يوم الجمعة (ج١ رقم=

* **السنة الثانية**: استحبابُ كثرة الصلاة علىٰ النبيِّ ﷺ في يومها وفي ليلتها؛ لقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»[1]. رواه أبو داود والنسائي وغيرهما بأسانيد صحيحة من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه.

قلت: وما ذلك إلا لأن رسول الله سيد الخلق، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزيَّةٌ ليست لغيره، بالإضافة إلىٰ حكمة أخرىٰ؛ ألا وهي: أن كل خير نالته أمة محمد ﷺ في الدنيا والآخرة فإنما نالته بفضل الله ﷻ علىٰ يديه، فجمع الله لأمته به بين خيري الدنيا والآخرة، فأعظم كرامة تحصل لهم في يوم الجمعة فهو عيد المسلمين.

* **السنة الثالثة**: الترغيب في الاغتسال في يومها، وهو علىٰ الصحيح سنة مؤكدة، وليس واجبًا إلا في حق من به رائحة كريهة يحتاج إلىٰ إزالتها فيجب عليه الاغتسال؛ لأن بني آدم تؤذيهم الرائحة الكريهة، والملائكة تتأذىٰ مما يتأذىٰ منه بنو آدم، وقد جاء في الحديث الثابت عن النبيِّ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ** -أي: في يوم الجمعة- **فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ**

=١٠٧٤ ص٢٨٢)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء فيما يقرأ به في صلاة الصبح يوم الجمعة (ج٢ رقم ٥٢٠ ص٣٩٨)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة: باب القراءة في صلاة الفجر يوم الجمعة (ج١ رقم ٨٢١ ص٢٦٩) الشطر الأول منه. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(١) رواه أبو داود في الصلاة: كتاب الصلاة: باب في الاسْتِغْفَارِ، حديث (١٥٣١) واللفظ له، ورواه في الصلاة -أيضًا-: باب فضل يوم الجمعة، حديث (١٠٤٧)، والنسائي في كتاب الجمعة: باب إكثار الصلاة علىٰ النبيِّ يوم الجمعة، حديث (١٣٧٤)، وأخرجه ابن ماجه في إقامة الصلاة: باب في فَضْلِ الْجُمُعَةِ، حديث (١٠٨٥) وأحمد (٤/ ٨).

أَفْضَلُ»[١]، وقد سبقت أحاديث الترغيب في ذلك قريبًا.

* **السنة الرابعة**: تحرِّي ساعة الإجابة في وقتين: الأول: من بعد صلاة العصر إلىٰ غروب الشمس؛ لما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَهِيَ بَعْدَ الْعَصْرِ**»[٢]، ولما روىٰ أبو داود والنسائي عن جابر رضي الله عنه عن النبيَّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَوْمُ الْجُمُعَةِ اِثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً فِيهَا سَاعَةٌ لا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ العصر**»[٣].

والوقت الثاني: أنها من جلوس الإمام علىٰ المنبر إلىٰ انقضاء الصلاة؛ ودليله ما روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسىٰ أن عبد الله بن عمر قال له: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ؛ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة: باب ترك الغسل يوم الجمعة، حديث (٣٥٤)، والنسائي في كتاب الجمعة: باب ترك الغسل يوم الجمعة، حديث (١٣٨٠)، والترمذي في كتاب الجمعة: باب الوضوء يوم الجمعة، حديث (٤٩٥)، وأحمد (٥/ ٨ و١١ و١٥ و٢٢)، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه. قال الترمذي: «وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وأنس».

وقال: حديث سمرة حديث حسن. وقد رواه بعض أصحاب قتادة عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب. ورواه بعضهم عن قتادة عن الحسن عن النبيِّ ﷺ مرسل».

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: الإجابة أية ساعة هي في يوم الجمعة؟ حديث (١٠٤٨)، والنسائي في كتاب الجمعة: باب وقت الجمعة، حديث (١٣٨٩).

«هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَىٰ أَنْ تُقْضَىٰ الصَّلاةُ»[١].

والجدير بالمعرفة أن هذين الوقتين هما قولان للعلماء؛ كما أورد ذلك الحافظ ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد[٢].

* **السنة الخامسة**: ما يشترط لوجوبها لها عند جمهور أهل العلم من الإقامة والاستيطان، وكذا استحباب الجهر بالقراءة في كلتا الركعتين.

* **السنة السادسة**: التفرغ للعبادة في يوم الجمعة من الواجبات والمستحبات أكثر من غيرها في سائر الأيام، وهو -أي: يوم الجمعة- فضله في الأيام كفضل شهر رمضان في الشهور.

* **السنة السابعة**: الصدقة في يوم الجمعة خير من الصدقة في غيره من الأيام؛ قال ابن القيم: «والصدقة فيه بالنسبة إلىٰ سائر أيام الأسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة إلىٰ سائر الشهور»[٣]، وفي حديث كعب: (... وَالصَّدَقَةُ فِيهِ أَعْظَمُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي سَائِرِ الأَيَّامِ)[٤] موقوف صحيح، وله حكم الرفع.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، حديث (٨٥٣).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٨٩-٣٩٠) فما بعدها.

(٣) زاد المعاد (١/ ٤٠٧).

(٤) نقله ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٤٠٨) عن أحمد بن أبي خثيمة زهير بن حرب بإسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اجتمع أبو هريرة وكعب، وفيه: قال كعب: أنا أحدِّثُكم عن يوم الجمعة، فذكر خصالاً منها هذا. ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا حديث كعب وأبي هريرة، وأنا أرىٰ إن كان لأهله طيبٌ يمس منه.

* **السنة الثامنة:** منع التحلُّق للعلم أو القراءة قبل الصلاة؛ لنهي النبيِّ ﷺ عن ذلك، فقد أخرج أبو داود عن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبيَّ ﷺ: (نَهَىٰ عَنِ الْحِلَقِ قَبْلِ الصَّلاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ)[1].

* **السنة التاسعة:** استحبابُ القراءة في ركعتي الجمعة بسورتي الجمعة والمنافقين، أو سورتي الأعلىٰ والغاشية؛ لثبوت ذلك عن النبيِّ ﷺ كما تقدَّم قريبًا فِي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وحديث عبيد الله بن أبي رافع.

هذا قليل من كثير من السنن التي تكون في يوم الجمعة المبارك؛ الذي ثبت عنه أنه سيد الأيام، وعيد الأسبوع المتكرر.

وإلىٰ القارئ والسامع نماذج من خطب من يقتدىٰ بهم في الخطابة والتذكير والمواعظ:

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة: باب التَّحَلُّقِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ الصَّلاَةِ، حديث (١٠٧٩).

أوّلاً: من خطب الرسول الكريم ﷺ

* خطبة النبيِّ ﷺ في حجَّة الوداع:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ، وَأَسْتَفْتِحُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ! اِسْمَعُوا مِنِّي أُبَيِّنُ لَكُمْ، فَإِنِّي لا أَدْرِي لَعَلِّي لا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا فِي مَوْقِفِي هَذَا.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ إِلَىٰ أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ. فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا. إِنَّ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ رِبَا أَبْدَأُ بِهِ رِبَا عَمِّي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَإِنَّ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ أَبْدَأُ بِهِ دَمُ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، وَإِنَّ مَآثِرَ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرُ السِّدَانَةِ وَالسِّقَايَةِ، وَالْعَمْدُ قَوَدٌ، وَشِبْهُ الْعَمْدِ مَا قَتَلَ بِالْعَصَا وَالْحَجَرِ، وَفِيهِ مِائَةُ بَعِيرٍ. فَمَنْ زَادَ؛ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهُ قَدْ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ النَّسِيءَ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ، يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ

عَامًا، وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ وَوَاحِدٌ فَرْدٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَمُحَرَّمٌ وَرَجَبٌ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ لِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَلَكِنْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ أَلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غَيْرَكُمْ، وَلا يُدْخِلْنَ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ بَيْتَكُمْ إِلا بِإِذْنِكُمْ، وَلا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ، وَتَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنِ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ، فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ. وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ، وَلا يَمْلِكْنَ لأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ.

فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ فَاشْهَدْ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، وَلا يَحِلُّ لامْرِئٍ مَالُ أَخِيهِ إِلا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ. لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ فَضْلٌ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ إِلا بِالتَّقْوَىٰ. أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَلا تَجُوزُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةٌ، وَلا تَجُوزُ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ، وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ. مَنِ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ تَوَلَّىٰ غَيْرَ مَوَالِيهِ؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلا عَدْلٌ. وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ»[1].

---

(١) جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت (١/ ١٥٥-١٥٨) الكتب العلمية، ط٣.

ثانيًا: من خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

في موضوع «العمل لليوم الآخر»

أخرج ابن عساكر عن موسىٰ بن عقبة: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخطب فيقول:

«الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعينه، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت؛ فإنه قد دنا أجلي وأجلكم، وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، لينذر من كان حيًّا ويحق القول علىٰ الكافرين. من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا.

أوصيكم بتقوىٰ الله، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدىٰ الاسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنه من يطع الله وأولي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فقد أفلح وأدَّىٰ الذي عليه من الحق، وإيَّاكم واتِّباع الهوىٰ، فقد أفلح من حُفظ من الهوىٰ والطمع والغضب، وإيَّاكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب، ثم إلىٰ التراب يعود، ثم يأكله الدود، ثم هو حيٌّ وغدًا ميِّت؟!

واصبروا؛ فإن العمل كله بالصبر، واحذروا، والحذر ينفع، واعملوا،

والعمل يُقبل، واحذروا ما حذَّركم الله من عذابه، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته، وافهموا وتفهَّموا، واتقوا الله وتوقَّوْا، فإن الله قد بيَّن لكم ما أهلك من كان قبلكم، وما نجَّىٰ به من نجَّىٰ قبلكم، قد بيَّن لكم في كتابه حلاله وحرامه، وما يحب من الأعمال وما يكره، فإني لا آلوكم ونفسي، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، واعلموا أنكم ما أخلصتم لله من أعمالكم فربَّكم أطعتم، وحظَّكم حفظتم، واغتبطتم، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم تستوفوا لسلفكم، وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها، ثم تفكَّروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا، وقد وردوا علىٰ ما قدَّموا، فأقاموا عليه، وحلُّوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت. إن الله ليس له شريك، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيرًا، ولا يصرف عنه سوءًا، إلا بطاعته واتباع أمره، فإنه لا خير في خير بعده النار، ولا شرَّ في شرٍّ بعده الجنة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلُّوا علىٰ نبيِّكم ﷺ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».[1]

(١) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٥-٣٣٦).

ثالثًا: من خطب عمر الفاروق

* خطبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نعم الله:

وخطب عمر فحمد الله وأثنىٰ عليه، وقال:

«إن الله -سبحانه وبحمده- قد استوجب عليكم الشكر، واتّخذ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم -تبارك وتعالىٰ- ولم تكونوا شيئًا لنفسه وعبادته، وكان قادرًا أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، و﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]، وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلَّكم تشكرون، ثم جعل لكم سمعًا وبصرًا، ومن نعم الله عليكم نِعَمٌ عمَّ بها بني آدم، ومنها نعمٌ اختصَّ بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصُّها وعوامُّها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلىٰ امرئ خاصَّة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرُها، وفدحهم حقُّها إلا بعون الله مع الايمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمَّة مخالفة لدينكم إلا أمتان:

أمة مستعبَدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معائشهم وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤنة، ولكم المنفعة.

وأمَّة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبًا، فليس لهم معقل يلجؤون اليه، ولا مهرب يتَّقون به، قد دهمتهم جنود الله ﷻ، ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسدِّ الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة علىٰ أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد.

فما عسىٰ أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصىٰ عددُها، ولا يقدر قدرُها، ولا يستطاع أداءُ حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه. فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة إلىٰ مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتمُّوا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثنىٰ وفرادىٰ، فإن الله ﷻ قال لموسىٰ: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم:٥]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦]، فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا علىٰ شعبة من الحق تؤمنون بها، وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت؛ لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبته بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استشلاكم به لم يكن معه حظ في دنياكم غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة علىٰ ما كنتم عليه أحرياء أن تشحُّوا علىٰ نصيبكم منه، وأن تظهروه علىٰ غيره قبله، ما أنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن شاء أن

يجمع له ذلك منكم، فأذكِّركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله، فعملتم له وقسرتم أنفسكم علىٰ طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفًا لها ولانتقالها ووجلًا منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير، ونماء النعمة، واستيجاب للزيادة. هذا لله عليَّ من أمركم ونهيكم واجب»[1].

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٧٤-٥٧٥).

رابعًا: من خطب عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضي الله عنه

أخرج ابن جرير الطبري من طريق سيف عن بدر بن عثمان عن عمه قال: لما بايع أهل الشورىٰ عثمان خرج وهو أشدُّ كآبة، فأتي منبر رسول الله ﷺ فخطب الناس، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وصلَّىٰ علىٰ النبيِّ ﷺ، وقال:

إنكم في دار قلعة وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فقد أُتيتم صُبِّحتم أو مُسِّيتُم، ألا وإن الدنيا قد طويت علىٰ الغرور، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، واعتبروا بمن مضىٰ، ثم جدُّوا ولا تغفلوا، فإنه لا يُغفل عنكم، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروا وعمروها ومُتِّعوا بها طويلًا؟! ألم تلفظهم؟ ارموا بالدنيا حيث رمىٰ الله بها، واطلبوا الآخرة؛ فإن الله قد ضرب لها مثلًا والذي هو خير؛ فقال ﷻ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦]»[1].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٥٨٩-٥٩٠) والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٦٦).

خامسًا: ومن خطب علي الخليفة الراشد رضي الله عنه

«الحمد لله فاطر الخلق، وفالق الإصباح، وناشر الموتىٰ، وباعث من في القبور، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأوصيكم بتقوىٰ الله؛ فإن أفضل ما توسَّل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص؛ فإنها الفطرة، وإقام الصلاة؛ فإنها الملَّة، وإيتاء الزكاة؛ فإنها من فريضته، وصوم شهر رمضان؛ فإنها جُنَّة من عذابه، وحجِّ البيت؛ فإنه منفاة للفقر ومدحضة للذنب، وصلة الرحم؛ فإنها مثراة في المال، منسأة في الأجل، محبَّة في الأهل، وصدقة السر؛ فإنها تكفِّر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف؛ فإنه يدفع ميتة السوء، ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله؛ فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وُعد المتقون، فإن وعد الله أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيِّكم ﷺ؛ فإنه أفضل الهدي، واستسنُّوا بسنَّته؛ فإنها أفضل السنن، وتعلَّموا كتاب الله؛ فإنه أفضل الحديث، وتفقَّهوا في الدين؛ فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره؛ فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته؛ فإنه أحسن القصص، وإذا قرئ عليكم، فاستمعوا له وأنصتوا لعلَّكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه، فاعملوا بما علمتم به لعلَّكم تهتدون؛ فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله، بل قد رأيت أن الحجَّة أعظم والحسرة أدوم علىٰ هذا العالم المنسلخ من علمه علىٰ هذا الجاهل المتحيِّر في جهله، وكلاهما مضلل مثبور، ولا ترتابوا، فتشكُّوا، ولا تشكُّوا فتكفروا، ولا

ترخِّصوا لأنفسكم، فتذهلوا، ولا تذهلوا في الحق، فتخسروا. ألا وإن من الحزم أن تثقوا، ومن الثقة ألا تغترُّوا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربِّه، من يطع الله يأمن ويستبشر، ومن يعص الله يخف ويندم، ثم سلوا الله اليقين، وارغبوا إليه في العافية، وخير ما دام في القلب اليقينُ.

إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيَّع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنَّة.

المغبون من غبن دينه، والمغبون من خسر نفسه. وإن الرياء من الشرك، وإن الإخلاص من العمل والايمان، ومجالس اللهو تُنسي القرآن، ويحضرها الشيطان، وتدعو إلىٰ كل غيٍّ، ومجالسة النساء تزيغ القلوب، وتطمح إليه الأبصار، وهي مصائد الشيطان، فاصدقوا الله؛ فإن الله مع من صدق، وجانبوا الكذب؛ فإن الكذب مجانب للإيمان.

ألا إن الصدق علىٰ شرف منجاة وكرامة، وإن الكذب علىٰ شرف ردىٰ وهلكة.

ألا وقولوا الحق؛ تعرفوا به، واعملوا به؛ تكونوا من أهله، أدُّوا الأمانة إلىٰ من ائتمنكم، وصلوا رحم من قطعكم، وعودوا بالفضل علىٰ من حرمكم، وإذا عاهدتم؛ فأوفوا، وإذا حكمتم؛ فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يغتب بعضكم بعضًا، وأعينوا الضعيف، والمظلوم، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام، ورُدُّوا التحيَّة علىٰ أهلها بمثلها أو بأحسن منها، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، وأكرموا

الضيف، وأحسنوا إلىٰ الجار، وعودوا المرضىٰ، وشيّعوا الجنازة، وكونوا عباد الله إخوانًا.

أما بعد: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أظلَّت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدًا السباق، وإن السبقة الجنة، والغاية النار. ألا وإنكم في أيام مهل، من ورائها أجل يحثُّه عجل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله، ونال أمله، ومن قصر عن ذلك خسر عمله، وخاب أمله، وضرَّه أمله، فاعملوا في الرغبة والرهبة، فإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنىٰ، ولمن شكر بالزيادة، وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكثر مكتسبها من شيء كسبه ليوم تُدَّخر فيه الذخائر، وتبلىٰ فيه السرائر، وتجمع فيه الكبائر، وإنه من لا ينفعه الحق يضرُّه الباطل، ومن لا يستقيم به الهدىٰ يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضرُّه الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور، وغائبه عنه أعجز.

إنكم قد أُمرتم بالظعن، ودُللتم علىٰ الزاد، ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوىٰ فيبعد عن الحق.

ألا وإن الدنيا قد رحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحَّلت مقبلة، ولهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من بني الدنيا، فاليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل.

ذكرها الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»[1]، وقال فيها: «هذه خطبة بليغة نافعة، جامعة للخير، ناهية عن الشر».

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٣٤٠-٣٤٢).

سادسًا: من خطب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

«الحمدُ لله الذي بنعمته اهتدىٰ المهتدون، وبعدله ضلَّ الضَّالون، لا يُسألُ عما يفعل وهم يُسألون، أحمدهُ سبحانه حمد عبدٍ نزَّه ربّه عمَّا يقول الظالمون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وسبحان الله رب العرش عما يصفون. وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه وخليلُه الصادقُ المأمون، اللهمَّ صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ آله وأصحابه الذين هم بهديه مستمسكون، وسلِّمْ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فيا أيُّها الناس! اتقوا الله حقَّ تُقاته، وسارعوا إلىٰ مغفرته ومرضاته، وأجيبوا الداعيَ إلىٰ دار كرامته وجناته، ولا تغرنّكُم الحياةُ الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذَّاته، فقد قَرُبَ الرحيل، وذُهِبَ بساعات العمر وأوقاته، واعلموا أن الخير كله بحذافيره في الجنة، فأدلجوا في السير إليها، والشر كله بحذافيره في النار، فاجتهدوا في الهرب منها. ألا وأن الدنيا عَرَضٌ حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والمؤمن والكافر. والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قاهر.

فلا تغُرَّنَّكُم الحياة الدنيا؛ فإنها دار بلاء، ومنزلُ ترحة وعناء. نَزَعَتْ عنها نفوسُ السعداء، وانتُزعت بالكره من أيدي الأشقياء، وحال بينهم وبين ما أمّلوه القدر والقضاء. ضُربت لكم بها المقاييسُ والأمثال، وقُرِّبت

لكم الحقيقةُ بالشبه والمثال؛ فقال ﷺ: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا؛ إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ»(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢). بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر اللهَ العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»(٣).

*** خطبة له أيضًا:**

«الحمد لله العليِّ العظيم القادر، هو الأوَّلُ والآخر والباطن والظاهر، عالم الغيب والشهادة المطلع علىٰ السرائر والضمائر. خلق فقدَّر، ودبَّر فيسَّر، فكلُ عبد إلىٰ ما قَدَّره عليه وقضاه صائر. أحمده سبحانه علىٰ خفيِّ

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد: باب ٤٤، حديث (٢٣٧٧)، وابن ماجه في الزهد: باب مثل الدنيا، حديث (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١ و٤٤١) نحوه، عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: «وفي الباب عن عمر وابن عباس»، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) (يونس: ٢٣-٢٧).

(٣) الخطب المنبرية للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (ص:٥-٦)، مطابع الرياض.

لطفه وجزيل برِّه المتظاهر. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا مظاهر. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات والبصائر؛ اللهم صل علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن علىٰ سبيله إلىٰ الله سائر، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ، واعملوا ليوم تنكشف فيه السرائر، وتظهر فيه مخبَّآتُ الصدور والضمائر، وتدور فيه علىٰ المجرمين الدوائر، وتحصىٰ فيه الصغائر والكبائر، يُرفع فيه لواءُ الخزي لكل ناكث للعهد غادر، تُنصب فيه موازين الأعمال وتنشر الصحائف، فكل عبد إلىٰ ما قدَّمه لنفسه صائر، فآخذٌ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله يا خيبةَ الظالم والفاجر! ويا سعادة من استجاب لله ورسوله من ذوي الإيمان والبصائر.

فاتقوا الله عباد الله؛ فإن تقواه أنفع الوسائل والذخائر، ولا تكونوا كالذين بدَّلوا نعمة الله كفرًا ولم يلتفتوا إلىٰ ما أمامهم من الموارد والمصادر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات

---

(١) (الإسراء:١٣-١٧).

والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»[1].

*** من خطبه أيضًا:**

«الحمد لله الذي ظهر لأوليائه بنعوتِ جلاله، وأنار قلوبَ أصفيائه بمشاهدة صفات كماله، وتحبَّب إلىٰ عباده بما أسداه إليهم من إنعامه وإفضاله، أحمده سبحانه حمدَ عبدٍ أخلص لله في أقواله وأفعاله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مُعين في تدبيره وأفعاله، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه نبيٌّ أنعم الله علىٰ جميع أهل الأرض ببعثه وإرساله، اللهمَّ صل علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ جميع أصحابه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ؛ فيا أيُّها الناس اتقوا اللهَ تعالىٰ؛ فإنَّ تقواه عليها المعوَّل، واشكروه علىٰ ما أَوْلاكم من الإنعام والخير الكثير وخَوَّل، وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والصدرُ الأوَّل، وتدبَّروا ما جاء به نبيُّكم محمد ﷺ من الحكمة والكتاب المنزَّل، واعتبروا بمن كان قبلكم ممن علا في الأرض وأمّل وتموَّل، فجاءهم هاذِمُ اللذات وكان الأجل مما أمَّلوه أعجل، وسطا بهم رَيْبُ المنون مسرعًا فما توانىٰ في أخذهم وما أمهل، فاستحال النعيم عذابًا، وانعكس القصد وتحوّل، فاتَّقوا الله عبادَ اللهِ، وحاسبوا أنفسكم قبل القدوم علىٰ الله؛ قال أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَأَهَّبُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ

(١) الخطب المنبرية (ص:٦-٨).

عَلَىٰ اللهِ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[٢]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»[٣].

*** من خطبه أيضًا:**

«الحمدُ لله المحمود علىٰ كل حال، الموصوف بصفات الجلال والكمال، المعروف بمزيد الإنعام والإفضال، أحمدُه سبحانه وهو المحمود

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٠٣رقم٣٠٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٩٦رقم٣٤٤٥٩)، وأحمد في الزهد (ص ١٢٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (ص٢٩-٣٠)، وأبو نعيم فىٰ الحلية (١/ ٥٢)، وابن الجوزي في القصاص والمذكرين (٢١٠-٢١١رقم٦٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/ ٣١٤).

(٢) (المؤمنون:١٠١-١١١).

(٣) الخطب المنبرية (ص٨-٩).

علىٰ كل حال، وفي كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والجلال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخليله الصادق المقال، اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه خير صحب وآل، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فيا أيُّها الناس! اتقوا الله حق تُقاته، وسارعوا إلىٰ مغفرته ومرضاته، وأجيبوا الداعيَ إلىٰ دار كرامته وجناته، ولا تغرنَّكم الحياة الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذاته، فقد قَرُب الرحيل، وذُهب بساعات العمر وأوقاته، ألا وإن المؤمن بين مخافتين: بين أجل قد مضىٰ لا يدري ما الله صانع فيه، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن صحته لمرضه، ومن حياته لموته، ومن غناه لفقره، فوالله ما بعدَ الموت من مُسْتَعْتَب، وما بعد الموت من دار إلا الجنةُ أو النار؛ وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ الأَمَانِيَّ**»[1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات

---

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ: باب ٢٥، حديث (٢٤٥٩)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) (النساء:١٢٣-١٢٤).

والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»[١].

*** من خطبه أيضًا:**

«الحمدُ لله العليِّ الأعلىٰ، الذي خلق فسوَّىٰ، والذي قدَّر فهَدىٰ. له ملكُ السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرىٰ. المَلِكُ الحقُّ المبين الذي علىٰ العرش استوىٰ، وعلىٰ الملك احتوىٰ، وقد وسعَ كلَّ شيءٍ رحمة وعلمًا. أحمده سبحانه، وبحمده يَلْهجُ أُولو الأحلام والنهىٰ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له عالم السر والنجوىٰ. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلىٰ كلمة التقوىٰ؛ اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه أئمة العلم والهدىٰ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ حقَّ التقوىٰ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرىٰ، فقد طال إعراضُكم عن النبأ العظيم تغافلًا وجهلًا، وكثر اشتغالكم بالعَرض الخسيس الأدنىٰ، وصار إقبالكم علىٰ ما يصدُّ عن الصراط السويِّ والهدىٰ. أما أيقظكم ما رأيتموه من حوادث القَدَر والقضا؟ أما أنذركم ما سمعتموه من أخبار من كذب وعصىٰ، ومن أعرض عما جاءت به الرسل وغلب عليه الشقاء والهوىٰ؟ كيف وجدوا عقوباتِ الذنوب؟ وكيف كان الحال بمن بغىٰ وطغىٰ؟ بلغتهُم دعوة الرسل فلم يجيبوا، ورُفعت إليهم المواعظ فلم يلتفتوا ولم ينيبوا، فجاءهم أمر الله بغتة وأصيبوا؛ فهل تحسُّ منهم من أحد أو تسمعُ لهم رِكْزًا؟ سل

(١) الخطب المنبرية: (ص٩-١١).

عنهم تلك القصورَ الدامرة، والقبورَ الدائرة، والعظامَ الناخرة، وكيف كان السؤال والجواب، وهل وجدوا لهم من دون الله ملجأً ووَزرًا؟! فاتقوا الله عباد الله، واعملوا ليوم العرض والجزاء، ولا تكونوا ممن أعرض عن ذكر ربه ولم يُرد إلا الحياةَ الدنيا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»[2].

*** من خطبه أيضًا:**

«الحمدُ للهِ الذي أنزل علىٰ عبدِهِ الكتابَ ولم يجعل له عِوَجًا، فصَّلَ وبَيَّن وقرَّر صراطًا مستقيمًا ومنهجًا. ونصب ووضَّح من براهين معرفته وتوحيده سلطانًا مبينًا وحججًا. أحمده سبحانه حمدَ عبدٍ جعل له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً ترفع الصادقين إلىٰ منازل المقرَّبين درجًا. وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه الذي وضع الله برسالته عن المكلَّفين آصارًا وأغلالًا

---

(١) (لقمان:٣٣-٣٤).

(٢) الخطب المنبرية: (ص١١-١٢).

وحرجًا؛ اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه خير الأنام طريقة وأهداهم منهجًا، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله حقَّ تقواه، وسارعوا إلىٰ مغفرته ورضاه؛ فقد خلقكم لأمر عظيم، وهيَّأكم لشأن جسيم؛ خلقكم لمعرفته وعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته، وجعل لكم ميعادًا تجتمعون فيه للحكم فيكم وفصل القضاء بينكم، فخاب وشقىٰ عبدٌ أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء وجنة عرضها السموات والأرض. وإنما يكون الأمان غدًا لمن خاف واتقىٰ، وباع قليلًا بكثير، وفانيًا بباق، وشقوة بسعادة.

عباد الله! ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين تتقلبون، ويستخلفها بعدكم الباقون؟! ألا ترون أنكم في كل يوم تشيِّعون غاديًا ورائحًا إلىٰ الله قد انقضىٰ أجله، وانقطع عمله، فتضعونه في بطن صدع من الأرض غير ممهد ولا موسَّد قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب؟! فاتقوا الله عباد الله، وبادروا بالتوبة قبل أن يغلق الباب، ويسبل الحجاب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»[2].

---

(١) (آل عمران:١٨٥).

(٢) الخطب المنبرية: (ص:١٢-١٤).

* من خطبه أيضًا:

«الحمدُ لله فاطرِ الأرض والسموات، عالم الأسرار والخفيَّات، المطلع علىٰ الضمائر والنيات، أحاط بكل شيء علمًا، ووسع كل شيء رحمة وحلمًا، وقهر كل مخلوق عزة وحكمًا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفَهم ولا يحيطون به علمًا، لا تدركه الأبصار، ولا تغيره الدهور والأعصار، ولا تتوهّمه الظنون والأفكار، وكل شيء عنده بمقدار، أتقن كلَّ ما صنعه وأحكمه، وأحصىٰ كلَّ شيء وعَلِمه، وخلق الإنسان وعلَّمه. أحمدُه سبحانه علىٰ ما ألهمه من معلوم وفهَّمه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف الحق والتزمه. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل من صدع بالحق وأسمعه، اللهمَّ صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه وسائر من نصره وكرمه، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله حق التقوىٰ، واعرفوا ما دلَّت عليه هذه الكلمة من الحقيقة والمعنىٰ، وتفطَّنوا لتفاصيل ذلك علىٰ القلوب والأعضاء، وتدبَّروا كتاب الله، واعرفوا ما فيه من العلم والهدىٰ، وعالجوا به أمراض القلوب؛ فهو الدواء النافع والشفاء، وهو السبب الأعظم في حصول السعادة والسيادة في الآخرة والأولىٰ. مَن تركه من جبار قصمه الله، ومَن ابتغىٰ الهدىٰ من غيره أضلَّه الله، ومَن أعرض عنه استحوذ عليه الشيطان وتولاه. فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم.

قال جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «عليكم بالقرآن؛ فإنه نور بالليل، وهدًىٰ بالنهار، فاعملوا به علىٰ ما كان من فقر وفاقة. فإن عرض بلاء فقدّم مالك دون نفسك. فإن تجاوز البلاء فقدِّم نفسك دون دينك. فإن المحروب مَن

حُرِبَ دينه، والمسلوب من سُلبَ دينه. إنه لا فاقة بعد الجنة، ولا غنًى بعد النار. إن النار لا يُفكُّ أسيرها، ولا يَسْتغني فقيرها»[١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾[٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم»[٣].

* من خطبه أيضًا:

«الحمد لله الكريم الذي أسبغ نعمه علينا باطنةً وظاهرة، الرحيم الذي لم تزل ألطافه علىٰ عباده متوالية متظاهرة، العزيز الذي خضعت لعزته رقاب الجبابرة، والقويِّ المتين الذي أباد من كذَّب رسله من الأمم الطاغيةِ

---

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص:٧٧-٧٨)، وأحمد في الزهد (ص٢٠٢)، ومسدد في مسنده (١٣/ ١٤٩رقم٣١٣٤- المطالب العالية)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤/ ١٥٨رقم٢٣١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٤٦ و٣٥٧رقم١٦٤٢ و٢٠٣١). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «صحيح موقوف».

(٢) (طه:١٢٣-١٢٧).

(٣) الخطب المنبرية: (ص:١٤-١٥).

الكافرة. أحمده حمد عبدٍ لم تزل ألطافه عليه متتابعة متواترة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة في الدار الآخرة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات الباهرة، اللهمَّ صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه النجوم الزاهرة، وسلِّمْ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ؛ فإن في تقواه كل خير جزيل، واحذروا أخذه وعقابه؛ فإنه أليم وبيل. عباد الله! ما هذا التكاسل وقد جاء الرحيل؟! وما هذا التغافل وقد وضح السبيل، وصار الأمر أوضح من أن يحتاج إلىٰ دليل؟! أغرَّكم الغَرور بما أبداه من التسويف والتأميل؟! أم عندكم من الله عهد هو بالنجاة والسعادة كفيل؟! أم قد ظننتم حصول السلامة مع الإعراض عن معرفة الحق والدليل، ورجوتم نيلَ الفلاح وقد هجر فيما بينكم الوحي والتنزيل؟! هيهات! هيهات! خلاص الأكثرين واللهِ مستحيل!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم

---

(١) (طه:١٢٨-١٣٠).

ولسائر المسلمين، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم»[1].

*** من خطبه أيضًا:**

الحمدُ لله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، أحمده سبحانه علىٰ ما أسداه وأولاه من الإنعام والإكرام والخير الكثير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا ظهير، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه السراج المنير والبشير النذير؛ اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومَن علىٰ سبيله إلىٰ الله يسير، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله حق تقواه، وسارعوا إلىٰ مغفرته ورضاه؛ فقد خلقكم لأمر عظيم، وهيَّأكم لشأن جسيم؛ خلقكم لمعرفته وعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته، وأخذ علىٰ هذا مواثيقكم، وارتهن بحقه نفوسكم، ووكَّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون، ويكتبون ما تعملون. وإن قومًا جعلوا أعمارهم لغيرهم، وسعيهم لنيل حظوظهم وشهواتهم العاجلة، ولم يلتفتوا إلىٰ ما خلقوا له، ففجأهم ريب المنون، وأُخذوا وهم كارهون، وحيل بين القوم وبين ما يشتهون، ثم ردُّوا إلىٰ الله مولاهم الحق وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون، وحاق بهم ما كانوا يعملون. وهذا كتاب الله لا تفنىٰ عجائبه، ولا يطفأ نوره، ولا يضلُّ متَّبعه؛ فاستضيئوا منه ليوم الظلمة، واستمسكوا منه بأوثق شافع في كل خطب وملمَّة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا

---

(١) الخطب المنبرية (ص:١٥-١٦).

ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم»[2].

* من خطبه أيضًا:

الحمد لله الملك العزيز العلام، العليِّ العظيم الكريم السلام، غافر الذنب، وقابل التوب من جميع الآثام، أحمده سبحانه علىٰ ما اتصف به من صفات الجلال والإكرام، وأشكره علىٰ ما أسداه من جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها الفوزَ بدار السلام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أظهر الله به الإيمان والإسلام؛ اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تقية من خاف وحذر واستقام، والتزموا ما أوجبه عليكم من حقوق الإيمان والإسلام، وأحبُّوه تعالىٰ بما غذاكم

---

(١) (يس: ٦٠-٦٧).

(٢) الخطب المنبرية (ص: ١٧-١٨).

به من سوابغ المنِّ والإنعام، واشكروه علىٰ ما أولاكم من جزيل الفضل والإكرام. عباد الله! قد وضح السبيل؛ فما هذا الإعراض والإحجام؟! وقد استُمع النذير فما هذا الإخلاد والدار ليست بدار مقام؟! هل يقنع بالسوم في هذه الدار ويرضاه لنفسه إلا أشباه الأنعام؟! عباد الله! قد سار المؤمنون وشمَّروا إلىٰ دار السلام، وصاموا عن محارم الله والآثام، فما أفطروا إلا يوم القدوم علىٰ الملك السلام، فنالوا من كرامته ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر من الأنام. إن الله غرس جنة عدن بيده فقال لها: تكلمي، قالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم»[2].

---

(١) (المؤمنون:١-١١).

(٢) الخطب المنبرية: (ص:١٨-١٩).

* من خطبه أيضًا:

الحمدُ لله الغنيِّ الحميد، المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد. أحاط بكل شيء علمًا وهو علىٰ كل شيء شهيد. أحمده سبحانه علىٰ ما أولاه من الإنعام والإكرام والتسديد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل من دعا إلىٰ الإيمان والتوحيد؛ اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم من صالحي العبيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ حق التقوىٰ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرىٰ، وإيَّاكم والاغترار بزهرة الحياة الدنيا! فقد اغترَّ بها قوم قبلكم فأوردهم موارد العطب والردىٰ، أسكرتهم برونقها فما أفاقوا إلا وهم في عسكر الموتىٰ، كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالًا وعددًا، كانوا أطول منكم آمالًا وأحسن أثاثًا ومنظرًا، سرت إليهم الأقدار فما ونت في سيرها، وما أبقت منهم أحدًا، فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يمتعون لمَّا نزل بهم القدر وقرب المدىٰ، وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله، ولم يجدوا لهم من دونه موئلًا وملتحدًا. فانتبهوا -رحمكم الله-، واتقوا يومًا ترجعون فيه إلىٰ الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

يَظْلِمُونَ ﴾[١].

بارك الله لي ولكل في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم»[٢].

*** من خطبه أيضًا:**

الحمدُ لله عالم الغيب والشهادة، القادر علىٰ تنفيذ ما قدَّره وأراده، الحكيم في كل شيء قضاه، حتىٰ العجز والكيس والشقاوة والسعادة، أحمده سبحانه حمد عبدٍ عظُم رجاؤه للمغفرة والزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعْظِمْ بها من شهادة، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه إمام المتقين السادة؛ اللهم صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه نجوم الهداية والإفادة، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ؛ فإن تقواه أربح تجارة وبضاعة، واحذروا معصيته؛ فقد خاب عبد فرَّط في أمر ربه وأضاعه، وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والجماعة، فخذوا بهديهم، وما كانوا عليه في المعتقد والعمل والسّمت والطاعة، واحذروا الظلمَ؛ فإن الظلم عار ونار وشناعة.

عباد الله! ما هذه الجراءة علىٰ ذي العزة والجلال؟! وما هذا الإعراض عن واسع الأنعام والأفضال؟!

---

(١) (الأعراف: ٤-٩).

(٢) الخطب المنبرية: (ص١٩-٢١).

عباد الله! هل تعي قلوبكم من النصح ما يقال، أم قد حال دون ذلكم الرانُ والأقفال؟ تالله لتسألُنَّ عن الرسول، ومَن أرسله، وما جاء به، وما قد قال؛ فأعدُّوا جوابًا منجيًا مطابقًا عند السؤال، قبل أن يفجأ الأجل ويحال بينكم وبين الآمال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم»[2].

*** من خطبه أيضًا:**

الحمدُ للهِ الذي عمّتْ آلاؤه جميعَ مخلوقاته، فأبىٰ أكثرُ الناس إلا كفورًا، ونصب من الآيات الباهرات ما دل علىٰ وحدانيته، فعميت بصائر الكافرين والمنافقين فما زادتهم إلا نفورًا، وبصَّر المؤمنين في التفكير في آياته فأشرقت قلوبهم بالإيمان به مَنًّا منه وتيسيرًا، فسبحانه من قسَّام ما أعْدله! ومن قهَّار ما أحلمه! ومن جواد ما أكرمه! ومن عليم ما أعلمه! لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا يغادر صغيرًا ولا كبيرًا، أحمده سبحانه حمد عبدٍ عرفه حق معرفته، وأشكره شكرًا

---

(١) (الأنبياء: ١١-١٥).

(٢) الخطب المنبرية (ص: ٢١-٢٢).

كثيرًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في إلهيته؛ تعالىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، اللهمَّ صلِّ علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ؛ فقد أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فاشكروه، وأوصاكم بالتمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ فاقبلوا وصيَّة ربِّكم وأطيعوه، ولا تجعلوا أمره ونهيه وراء ظهوركم فيهلككم كما أهلك من قبلكم لمَّا آسفوه، وتقرَّبوا إليه بشكر نعمه عليكم وراقبوه، فكم نعمة آتاكم، وكم فتنة وقاكم، وكم عدوٍّ كفاكم، فاشكروه عباد الله علىٰ ما أَوْلاكم، فالسعيد من استعمل ما أوتيه من النعم في طاعة خالقه ومُربِّيه، والشقيُّ من صرفه في إرادته وشهواته، ولم يؤدِّ حق الله تعالىٰ الواجب فيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾[1].

---

(١) (إبراهيم:٦-٨).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم»[1].

(١) الخطب المنبرية (ص:٢٢-٢٣).

سابعًا: من خطب الشيخ ابن عثيمين خطيب جامع عنيزة رَحِمَهُ اللَّهُ

موضوع «حماية النبيِّ ﷺ لجناب التوحيد»

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين...

أما بعد:

فيا أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ، واشكروه علىٰ ما أنعم عليكم؛ إذ بعث فيكم رسولًا من أنفسكم، يتلو عليكم آياته، ويزكيكم، ويعلمكم الكتاب والحكمة بعد أن كنتم في ضلال مبين، رسولًا أخرجكم الله به من الظلمات إلىٰ النور؛ من ظلمات الجهل إلىٰ نور العلم، ومن ظلمات الظلم والشرك والكفر إلىٰ نور التوحيد والإيمان، ومن ظلمات الجور والإساءة إلىٰ نور العدل والإحسان، ومن ظلمات الفوضىٰ الفكرية والمنهجية إلىٰ نور الاستقامة في الهدف والمنهج، ومن ظلمات القلق النفسي وضيق الصدر إلىٰ نور الطمأنينة وانشراح الصدر؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[1]، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ

(١) (الرعد:٢٨).

لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾(١)، ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾(٢). لقد بعث الله محمدًا ﷺ إلىٰ الناس رسولًا وهم يتخبَّطون في الجهالات والضلالات، ففتح لهم أبواب العلم من كل وجه؛ ليصلوا إلىٰ أسمىٰ الغايات؛ فتح لهم باب العلم بالله ﷻ وبما له من الأسماء والصفات والأفعال والحقوق، وفتح لهم أبواب العلم في عالم الكون في مبدئه ومنتهاه، والغاية منه، وفي الحساب والجزاء؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾(٣)، ويقول جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾(٤)، وقال تعالي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾(٥)، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا

---

(١) (الزمر:٢٢).

(٢) (إبراهيم:١-٣).

(٣) (الحجر:٨٥).

(٤) (ص:٢٧-٢٨).

(٥) (الذاريات:٥٦-٥٧).

﴿ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾[1]؛ إن هذه الآيات الكريمة فيها بيانُ حكمة الله ﷻ لهذا الخلق، وفيها بيانُ مبدأ الخلق وغايته ومنتهاه، وفيها الجزاء، وفيها الحساب؛ فتأمَّلوها تجدوا فيها ما يُعينكم علىٰ طاعة الله، واجتناب معصيته.

وفتح الله تعالىٰ ببعثة النبيِّ ﷺ أبواب العلم في عبادة الله ﷻ والسير إلىٰ رضوانه ودار كرامته؛ فبيَّن لهم كيف تكون العبادة، ومتىٰ تكون، وكيف تكون؛ ومن ذلك الصلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[2]، وفتح لهم أبواب العلم في معاملة الخلق ناطقةٍ وبهيمةٍ، وفتح لهم أبواب العلم في طلب الرزق، واستخراج ما أودعه الله في الأرض من كنوز الذهب والفضة وغير ذلك، فما من شيء يحتاج الناس إلىٰ معرفته من أمور الدين والدنيا إلا بيَّنه الله لهم أتمَّ بيان: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، فكان الناس علىٰ محجَّةٍ بيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتيه فيها إلا أعمىٰ القلب.

أيُّها المسلمون! لقد بعث الله نبيَّه محمدًا ﷺ وأكثرُ الناس منغمسون في الشرك؛ فمنهم من يعبد البشر، ومنهم من يعبد الشجر، ومنهم من يعبد صنمًا ينحته، ومنهم من يعبد حجرًا يلتقطه، حتىٰ إن الواحد منهم إذا سافر

---

(١) (المؤمنون:١٢-١٦).

(٢) (النساء: من الآية١٠٣).

(٣) (النحل: من الآية٨٩).

فنزل منزلًا التقط أربعة أحجار، ووضع ثلاثة منها تحت القدر ونصب الرابع إلهًا يعبده! فأنقذهم الله تعالىٰ ببعثة النبيِّ ﷺ من هذه الهُوة السحيقة والسفه البالغ من عبادة المخلوق إلىٰ عبادة الخالق، فحقَّق التوحيد تحقيقًا بالغًا؛ وذلك بأن تكون العبادة لله وحده لا شريك له، يتحقق فيها الإخلاص بالقصد والمحبة والتعظيم، فيكون العبد مخلصًا لله في قصده، مخلصًا لله في محبته، مخلصًا لله في تعظيمه ظاهرًا وباطنًا: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(١)؛ هكذا أمر الله تعالىٰ في كتابه كل إنسان، فإن (صَلاته وَنُسُكه وَمَحْيَاه وَمَمَاته لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ)، ولهذا جاءت السنة المطهَّرة مبيِّنةً لكتاب الله في حماية هذا التوحيد، وسدِّ كل طريق يوصل إلىٰ نقصه أو نقضه؛ فروىٰ النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟! مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ»(٢)، فأنكر النبيُّ ﷺ علىٰ هذا الرجل أن يقرن مشيئة النبيِّ ﷺ بمشيئة الله تعالىٰ بحرفٍ يقتضي التسوية بينهما، وجعل ذلك من اتخاذ الند لله ﷻ، واتخاذُ الندِّ لله إشراكٌ به، فإذا كان النبيُّ ﷺ أنكر علىٰ من قرن مشيئته بمشيئة الله بحرف يقتضي التسوية، فكيف بمن جعل المشيئة للمخلوق وحده دون الله ﷻ غلوًّا ومدحًا؟! كقول من قال في شخص يمدحه:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

---

(١) (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة: (ص٥٤٥رقم٩٨٨). وأخرجه أحمد (١/ ٢١٤ و٢٢٤ و٢٨٣ و٣٤٧).

هكذا يقوله، هكذا يقوله لمخلوق مثله: «ما شئت فاحكم فأنت الواحد القهار»! تعالىٰ الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

إذًا فماذا نقول؟ نقول في هذه المسألة نقول: «ما شاء الله وحده» كما قال النبيُّ ﷺ أو نقول: «ما شاء الله ثم شئت»، أما «ما شاء الله وشئت» فإن هذا من الشرك، وروىٰ النسائي أيضًا بسند جيِّد أن ناسًا جاءوا إلىٰ النبيِّ ﷺ فقالوا: (يَا رَسُولَ اللهِ يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ ﷻ**»[1]، هذا مع أنه ﷺ سيِّدُ بني آدم وخيرُ بني آدم بلا شك، ولكنه خاف أن يستهويهم الشيطان فيوقعهم في الغلوِّ حتىٰ يرفعوه لمنزلة الخالق، فقال: إنه عبد الله ورسوله؛ حمايةً لجانب التوحيد، وسدًّا لطرق الشرك، وبيانًا للحقيقة والمنزلة؛ المنزلة التي أعلىٰ منازل البشر، ألا وهي العبودية لله ﷻ والرسالة. ولما سُئل النبيُّ ﷺ عن الرجل يلقىٰ أخاه أينحني له؟ قال: «لا»[2]، فمنع النبيُّ ﷺ من الانحناء عند الملاقاة؛ فمنع النبيُّ ﷺ من الانحناء عند التسليم؛ لأن ذلك خضوعٌ للبشر، وقد يكون وسيلة إلىٰ تعظيم غير الله بالركوع والسجود، وكان السجود عند الملاقاة وكان السجود عند الملاقاة من باب

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٩-٢٥٠رقم٢٤٨ و٢٤٩). من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه. وأخرجه أحمد (٣/ ١٥٣ و٢٤١ و٢٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي في الاستئذان والآداب عن رسول الله ﷺ: باب مَا جَاءَ فِي الْمُصَافَحَةِ، حديث (٢٧٢٨)، وابن ماجه في كتاب الأدب: باب المصافحة، حديث (٣٧٠٢)، وأحمد (٣/ ١٩٨). كلهم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث حسن».

التحية جائزًا عند بعض الشرائع السابقة، لكن هذه الشريعة شريعة خاتم النبيِّين محمد ﷺ منعت منه سواء كان من أجل التحية والإكرام، أم من أجل التذلل والخضوع.

أيُّها الناس! إن علىٰ الإنسان أن يراعيَ جانب التوحيد، وأن يعرف للخالق حقَّه؛ فلا ينقصه، ولا يشرك به معه غيره؛ لا باللفظ، ولا بالفعل، ولا بالقلب. إن علىٰ الإنسان أن يعرف للمخلوق حقَّه، ويقوم له بما أوجب الله عليه فيه، من غير غُلوٍّ ولا تقصير، فلا ينزل المخلوقَ منزلة الخالق؛ لا بلفظه، ولا بفعله، ولا بقلبه؛ فإن للخالق حقَّه المختص به لايشركه فيه أحد، وللمخلوق حقَّه الذي أوجبه الله الذي أوجبه الله له، لا يزاد عليه فيما هو من حق الله. إن علىٰ الإنسان أن يعلم أنه مسئول عن ما ينطق به لسانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، مسئول عن ما يعمله بجوارحه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2]، مسئول عن ما يُكنُّه في ضميره: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾[3]، ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝٩ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[4]؛ فاتقوا الله عباد الله، واشكروه علىٰ ما أنعم به عليكم من هذا الدين القويم والصراط المستقيم، واسألوا الله أن يثبِّتكم عليه إلىٰ أن تلقوه.

اللهم إنَّا نشكرك علىٰ ما أنعمت به علينا من دين الإسلام، ونسألك

---

(١) (ق:١٨).

(٢) (النحل: من الآية٩٣).

(٣) (العاديات:٩-١٠).

(٤) (الطارق:٩-١٠).

اللهم أن تثبتنا عليه إلىٰ أن نلقاك، اللهم وفِّقنا إلىٰ ما فيه الخير والصلاح والإصلاح، اللهم اجعلنا هداة مهتدين، وصالحين مصلحين، وأعذنا من مضلات الفتن؛ يا رب العاليمن. والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرجو بها النجاة يوم نلاقيه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفىٰ من خلقه، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فإنه من حماية النبيِّ ﷺ لجانب التوحيد أن جعل من حلف بغير الله تعالىٰ مشركًا، فقال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[1]، ولكن هذا الشرك قد يكون شركًا أصغر، وقد يكون شركًا أكبر؛ فإن حلف بغير الله معتقدًا أنه يستحق من التعظيم مثل ما يستحقه الله ﷻ؛ فإن هذا شرك أكبر، وأما إذا كان لا يعتقد ذلك ولكنه حلف به من باب التعظيم الذي لا يبلغ به تعظيم الله؛ فإنه من الشرك الأصغر، وعلىٰ كل حال فإن الحلف بغير الله لا يحلُّ ولا يجوز؛ فلا يجوز أن يحلف الإنسان برسول الله، ولا أن يحلف بجبريل، ولا أن يحلف بميكائيل، ولا بإسرافيل،

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب النذور والأيمان: باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، حديث (١٥٣٥)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وقال: «حديث حسن».

وأخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٤، ٦٩، ٨٦، ١٢٥). وأبو داود في كتاب الأيمان والنذور: باب في كراهة الحلف بالآباء، حديث (٣٢٥١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ولفظه: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ». وفي لفظ لأحمد (٢/ ١٢٥): «فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ».

ولا بغيرهم من الملائكة، فلا يجوز أن يحلف برئيس، ولا يجوز أن يحلف بملك، ولا يجوز أن يحلف بوطن، ولا بقومية، ولا غير ذلك، ومن كان معتادًا للقسم بغير الله مثل الذين اعتادوا أن يقسموا بالنبيِّ ﷺ فإن عليه أن يحول هذه العادة إلىٰ تجنبها والابتعاد عنها، وهو وإن كان لا يقصد أن النبيَّ ﷺ له من التعظيم مثل ما لله ﷻ؛ فإن هذا القصد يكون في القلب، ولا يعلم ما في القلب إلا الله، ولهذا يجب علينا إذا سمعنا أحدًا يحلف بالنبيِّ أو بغيره من المخلوقات يجب علينا أن نبيِّن له أن ذلك لا يجوز، وأن نأمره بأن يعتاد البعد عن هذا الحلف: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1] هكذا جاء الحديث عن النبيِّ ﷺ. وأما قول القائل: «بذمتي لأفعلن» فمعناها أن «بذمتي يمين لأفعلن»، وليس يريد أن يحلف بذمته؛ لا يخطر هذا ببال أحد من الناس، ولكنه يأتي بالباء في محل الفاء أي: «في ذمتي يمين لأفعلن»، وعلىٰ هذا فلا يكون ذلك حرامًا؛ لأننا لو سألنا أي واحد يقول: «بذمتي أن هذا حاصل» أو «بذمتي أن هذا لم يحصل» فإنه لا يطرأ بباله أن الباء للقسم، وإنما يقول: «في ذمتي» أي «في عهدي يمين لأفعلن» والذمة تأتي بمعني العهد؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**لا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلا ذِمَّةَ رَسُولِهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ**» أي: عهدك وعهد أصحابك. فالذمة بمعنىٰ العهد، ولذلك يسمىٰ المعاهدون من أهل الكتاب وغيرهم يسمون أهل الذمة؛ لأن لهم عهدًا، وعلىٰ هذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور: باب لا تحلفوا بآبائكم، حديث (٦٦٤٦)، ومسلم في كتاب الأيمان: باب النهي عن الحلف بغير الله، حديث (١٦٤٦). كلاهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

فيكون معني العبارة المشهورة عند الناس: «أن في عهدي يمين لأفعلن كذا» أو «لم أفعل كذا» أو ما أشبه ذلك. أما إذا قصد بذلك اليمين؛ فإن هذا لا يحل؛ لأن كل شيء سوىٰ الله ﷻ أو صفاته لا يحل القسم به.

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، فالتزموا ما جاء في كتاب الله قبولًا وإذعانًا، واتبعوا سنة محمد ﷺ وهديه؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. فعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله علىٰ الجماعة، ومن شذ شذ في النار، وأكثروا من الصلاة علىٰ نبيِّكم يُعظم الله لكم بها أجرًا؛ فإن من صلَّىٰ عليه مرَّة واحدةً صلَّىٰ الله عليه بها عشرًا، اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ عبدك ورسولك محمد، اللهم ارزقنا محبَّته واتباعه ظاهرًا وباطنًا، اللهم توفَّنا علىٰ ملَّته، اللهم احشرنا في زمرته، اللهم اسقنا من حوضه، اللهم أدخلنا في شفاعته، اللهم اجمعنا به في جنات النعيم، مع الذين أنعمت عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، اللهم ارضَ عن خلفائه الراشدين، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، اللهم ارضَ عنا معهم، وأصلح أحوالنا كما أصلحت أحوالهم يا رب العالمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل بلدنا هذا آمنًا وسائر بلاد المسلمين، اللهم أصلح لولاة أمور المسلمين بطانتهم، اللهم من كان من بطانتهم بطانة سوء فأبعده عنهم يا رب العالمين، يا ذا الجلال والإكرام، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف

رحيم، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثًا مغيثًا هنيئًا مريئًا غدقًا مجللًا عامًّا نافعًا غير ضار، اللهم سُقيَا رحمةٍ لا سقيَا بلاءٍ ولا عذاب ولا هدم ولا غرق، اللهم لا تردَّنا خائبين، اللهم لا تردَّنا خائبين، اللهم لا تردَّنا خائبين، اللهم لا تأخذنا لا تؤاخذنا بسوء أفعالنا، وعاملنا بعفوك؛ فأنت أهل العفو والكرم، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اسقنا الغيث والرحمة، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا الغيث والرحمة، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا الغيث والرحمة، ولا تجعلنا من القانطين، اللهم اسقنا غيثًا تُحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغًا للحاضر والباد، يا أرحم الراحمين، يا ذا الجلال والإكرام، اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ عبدك ورسولك محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1]».

(١) (الأحزاب:٧٠-٧١).

ثامنًا: من خطب الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-

* الخطبة الأولىٰ:

أما بعد: أيُّها الناس! اتقوا الله تعالىٰ، وأطيعوه حبًّا وإجلالًا، وطمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، فهو الإله الذي تألهه القلوب وتعبده محبَّةً وإجلالًا وتعظيمًا، وإذا كانت القلوب قد جُبلت علىٰ حبِّ من أحسن إليها فإن كل إحسان وكل نعمة فمصدر ذلك منه سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[1]. فيجب علىٰ العبد أن يحبَّه غاية الحبِّ، ويعبده وحده لا شريك له، ومحبَّة العبد لربِّه لها علامات تدل عليها؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[2]. فعلامة محبَّة العبد لله أن يكون متَّبعًا لرسوله؛ يفعل ما أمر به، ويترك ما نهىٰ عنه؛ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾، أما من ادَّعىٰ أنه يحبَّ الله وهو مخالف لرسوله؛ فإنه كاذب في دعواه؛ قال بعض السلف: «ادَّعىٰ قوم محبَّة الله، فأنزل الله آية المحبَّة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾»[3]. وقوله تعالىٰ: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ إشارة إلىٰ ثمرة محبة الله وفائدتها، وهي أن من أحب الله

---

(١) (النحل:٥٣).

(٢) (آل عمران:٣١).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٧٧-١٧٨).

أحبه الله وغفر له ذنوبه، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[1]، فذكر في هذه الآية الكريمة أن محبةالعبد لربه لها أربع علامات:

الأولىٰ: الذلة علىٰ المؤمنين؛ بمعنىٰ أن يكون رحيمًا بهم، عاطفًا عليهم، محسنًا إليهم.

الثانية: العزة علىٰ الكافرين؛ بمعنىٰ أنه يكون شديدًا عليهم، مبغضًا لهم؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾[2].

الثالثة: أن يكون مجاهدًا في سبيل الله بالنفس والمال واللسان والقلب.

الرابعة: أن يكون لا تأخذه في الله لومةُ لائم، بحيث لا يؤثر فيه لوم الناس له علىٰ ما يبذله من الجهاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلا يمنعه لومُ الناس له عن الاستمرار في ذلك.

ومن علامة صدق العبد في محبته لله: أن يُقدِّم ما يحبه الله علىٰ ما تحبه نفسه، وما يميل إليه هواه وطبعه من المال والقرابة والوطن؛ قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا

---

(١) (المائدة:٥٤).

(٢) (الفتح:٢٩).

﴿يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١]؛ أمر الله نبيَّه أن يتوعَّد من قدَّم محبَّة هذه الثمانية: أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثرها -أو بعضها- على فعل ما أوجبه الله عليه من الأعمال التي يحبُّها الله تعالى ويرضاها كالجهاد والهجرة ونحو ذلك.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي إن كانت هذه الأشياء ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ أي: انتظروا ماذا يحلُّ بكم من عقابه»[٢]، ولهذا آثر السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ما يحبُّه الله على ما يحبُّونه، فقدَّموا أنفسهم وأموالهم للجهاد والإنفاق في سبيله، مع ما في ذلك من القتل ونفاد الأموال، وترك المهاجرين ديارهم وأموالهم وأولادهم، وانتقلوا من وطنهم الأصلي إلى دار الهجرة، يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله، وقال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[٣]. فقارنوا -يا عباد الله- بين حال أكثرنا اليوم وحال هؤلاء الصادقين؛ فالكثير منا اليوم يقدِّم هوى نفسه على طاعة ربه، فإذا دعي إلى الصلاة في المسجد آثر النوم والراحة أو اللهو واللعب، ولم يخرج إلى الصلاة ولم يجب داعي الله، وإنما يجيب داعي الشيطان والهوى والنفس، وإذا دعي إلى الصلاة وهو في متجره أو عمله آثر طلب الدنيا على طلب الآخرة، فأقبل على البيع والشراء بأداء العمل الدنيوي ولم يذهب إلى الصلاة، وعصى أمر

---

(١) (التوبة:٢٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٢٤-طيبة).

(٣) (الحشر:٨).

ربه في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[1]، وفي قوله تعالىٰ: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾[2].

والتاجر الذي يأخذ المال بطرق محرَّمة كالربا والغش والكذب قد آثر حبِّ المال علىٰ حبِّ الله، والبخيل الذي يمنع الحقوق الواجبة في ماله كالزكاة والإنفاق في سبيل الله قد آثر حبَّ المال علىٰ حبِّ الله، ونسي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3]. والوالد حينما يؤمر بإلزام أولاده بالصلاة وإحضارهم إلىٰ المسجد وإنقاذهم من النار؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[4]، وقوله: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا لِعَشْرٍ**»[5]، فإنه لا يبالي بأمر الله ورسوله، ويترك أولاده في بيته لا يشهدون صلاة، ولا يعرفون مسجدًا؛ لأنه آثر حب أولاده علىٰ محبَّة الله، فهو لا يريد أن يضربهم أو يغضبهم ولو

---

(١) (الجمعة:٩).

(٢) (النور:٣٦).

(٣) (آل عمران:١٨٠).

(٤) (التحريم:٦).

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة: باب متىٰ يؤمر الغلام بالصلاة، حديث (٤٩٥)، وأحمد (٢/ ١٨٧)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وأخرجه أبو داود في كتاب الصلاة: باب متىٰ يؤمر الغلام بالصلاة، حديث (٤٩٤)، والترمذي في كتاب الصلاة: باب ما جاء متىٰ يؤمر الصبي بالصلاة، حديث (٤٠٧)، وأحمد (٣/ ٤٠٤)، كلهم من حديث سبرة بن معبد رضي الله عنه. قال الترمذي: «حسن صحيح».

عصوا ربهم وتركوا واجبهم، فصارت محبة الأولاد أشدَّ عنده من محبَّة الله، واتِّقاء غضب الأولاد أهمُّ في نظره من اتقاء غضب الله، وإلا لو كان الأمر بالعكس لقدَّم أمر الله علىٰ محبَّتهم. وهذا خليلُ الله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لما أمره الله بذبح ابنه الذي وهبه الله له بعد كبر سِنِّه بادر إلىٰ امتثال أمر ربِّه وتقديم محبَّة الله علىٰ محبَّة هذا الابن، ولما ظهرت نيَّته وخالص محبَّته لربِّه نسخ الله الأمر بذبح الابن، وفداه بذبح عظيم، وبشَّره بابن آخر هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، كل هذا ببركة طاعة الله، وتقديم محبَّته علىٰ محبَّة غيره.

عباد الله! وكما تجب محبَّة الله تعالىٰ تجب محبَّة رسوله، وهي تابعة لمحبة الله، ولازمة لها؛ عن أنس بن مالك أن النبيَّ قال: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**» أخرجاه في الصحيحين[1]، وروىٰ البخاري عن عمر بن الخطاب: أنه قال للرسول: لأَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ: «**لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**». فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّكَ الآنَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبِيُّ: «**الآنَ يَا عُمَرُ**»[2]؛ وذلك لأن الرسول هو الذي دلَّنا علىٰ الخير، وبيَّن لنا طريق النجاة وسبيل السعادة، وحذَّرنا من الشرِّ والهلاك، وبسببه اهتدينا، ومحبَّته تقتضي متابعته وطاعته،

---

(١) رواه البخاري كتاب الإيمان: باب حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الإِيمَانِ، حديث (١٥)، ومسلم كتاب الإيمان: باب وُجُوبِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَإِطْلاَقِ عَدَمِ الإِيمَانِ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يُحِبَّهُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ، حديث (٤٤).

(٢) رواه البخاري كتاب الأيمان والنذور: باب كَيْفَ كَانَتْ يَمِينُ النَّبِيِّ ﷺ، حديث (٦٦٣٢)، من حديث عبد الله بن هشام رضي الله عنه.

فمن ادَّعىٰ محبَّته بدون متابعته، أو ادَّعىٰ محبته ولم يتمسك بسنته ولم يترك البدع المخالفة لسنته؛ فهو كاذب في دعوىٰ محبَّته لرسول الله؛ لأن محبَّته تقتضي فعل ما أمر به، وترك ما نهىٰ عنه، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[1]، فالذي يدَّعي محبَّته ويخالف سنته ويعمل بالبدع والخرافات هو كاذب في دعواه.

ومن علامة محبَّة العبد لله ورسوله: أن يُحبَّ من يحبُّهم الله ورسوله، فالله يحب المحسنين المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، والقرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبُّه الله سبحانه من عباده المؤمنين، وما يحبُّه الله من أعمالهم وأخلاقهم، وفي الصحيحين، عن أنس قال: قال رسول الله: «**ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لِلَّهِ، وَ أَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَىٰ فِي اللهِ، وَعَادَىٰ فِي اللهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلايَةُ اللهِ بِذَلِكَ. وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيمَانِ وَلَوْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ لا يُجْدِي عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ شَيْئًا» رواه ابن جرير[3]. فمن أحبَّ الله تعالىٰ أحبَّ فيه، ووالىٰ أولياءه، وعادىٰ أعداءه، فمن كان كذلك تولاه الله. ومن لم يكن

---

(١) (النساء: ٨٠).

(٢) رواه البخاري كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمَان، حديث (١٦)، وفي الإكراه: باب مَنِ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ عَلَىٰ الْكُفْرِ، حديث (٦٩٤١)، ومسلم كتاب الإيمان: باب بَيَانِ خِصَالِ مَنِ اتَّصَفَ بِهِنَّ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيمَانِ، حديث (٤٣).

(٣) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد (ص٣٩٨-عالم الكتب).

كذلك؛ فإن الله لا يتولاه، وإذا لم يتولَّه الله تولاه أعداؤه، قال الله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم».

* **الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، يَمُنُّ علىٰ من يشاء من عباده بالإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد؛ أيها الناس! اتقوا الله تعالىٰ، واعلموا أن من علامات محبَّة الله بغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال والأقوال؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾(٣)، وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(٤). فيجب علىٰ المؤمن الذي يحبُّ الله أن يبغض ما يبغضه الله؛ قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾(٥)، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ

---

(١) (البقرة:٢٥٧).

(٢) (لقمان:١٨).

(٣) (آل عمران:٥٧).

(٤) (البقرة:٢٠٥).

(٥) (الممتحنة:١).

ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٢]، فأوجب سبحانه في هذه الآيات بغض أعداء الله المحادِّين له، الذين غضب الله عليهم من الكفار والمنافقين والمتكبرين، ولو كانوا من أقرب الأقربين، كما أوجب سبحانه علىٰ المؤمن بغض المعاصي من الكفر والفسوق والعصيان؛ لأن الله يبغضها، (فيكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار)؛ كما جاء في الحديث[٣]، واعلموا أن كل محبة تأسست علىٰ معصية الله ستنقلب عداوة يوم القيامة؛ قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾[٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[٦]، فاتقوا الله، وانظروا من تحبُّون وتصاحبون؛ فإن المرء يكون مع من أحب يوم القيامة، وقد ذكر العلاّمة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة:

---

(١) (الممتحنة:١٣).

(٢) (المجادلة:٢٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) (الزخرف:٦٧).

(٥) (الفرقان:٢٧-٢٩).

(٦) (العنكبوت:٢٥).

الأول: قراءة القرآن وتدبُّره.

الثاني: التقرب إلىٰ الله بالنوافل بعد الفرائض.

الثالث: دوام ذكر الله علىٰ كل حال بالقلب واللسان والعمل.

الرابع: إيثار محابِّ الله علىٰ محابِّ النفس. .

الخامس: التأمل في أسماء الله وصفاته، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة.

السادس: التأمل في نعم الله تعالىٰ علىٰ العبد؛ فإن التأمل فيها يدعو إلىٰ محبَّة المنعِم.

السابع: انكسار القلب بين يدي الله تعالىٰ.

الثامن: الخلوة بالله وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه حين يبقىٰ ثلث الليل الأخير، وختم ذلك بالاستغفار.

التاسع: مجالسة الصالحين المحبِّين الصادقين، والاقتداء بهم.

العاشر: الابتعاد عن كل الأسباب التي تَحُول بين القلب وبين الله ﷻ.

فاتخذوا هذه الأسباب -رحمكم الله- للحصول علىٰ محبَّة الله ﷻ، وابتعدوا عن أضدادها.

واعلموا أن خير الحديث كتاب الله ... إلخ[1].

---

(١) الخطب المنبرية في المناسبات العصرية (ج١ / ٣٦٤-٣٧٠)

تاسعًا: خطبة الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-

عنوان «وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه»

* **الخطبة الأولىٰ:**

أما بعد؛ فيا أيُّها المؤمنون! اتقوا الله حق التقوىٰ.

عباد الله! إن الله جل جلاله اختار فيما اختار رجالًا صالحين لصحبة محمد -عليه الصلاة والسلام-، اختارهم وهو -جل وعلا- يختار ما يختار لفضل منه -جل وعلا- ولحكمة؛ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1].

وصحابة رسول الله ﷺ مدرسة عظيمة تربَّىٰ عليها الناس فيما بعد، تربَّىٰ عليها التابعون؛ إذ رأوا أفعالهم، وأخذوا أقوالهم وتدارسوها، وتربَّىٰ عليها العلماء والصالحون فيما بعدهم؛ حيث نظروا في أقوالهم وأخذوها دروسًا، وجعلوا يتدبَّرون ويتأملون فيها، وليس من عجب أن كان ذلك كذلك؛ لأنهم الصحب الذين رضي الله عنهم: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[2].

وكان منهم المهاجرون وكان منهم الأنصار؛ والأنصار كانوا أنصارًا لرسول الله ﷺ نصروا دينه لما تخلت عنه -عليه الصلاة والسلام- قريش، وتخلَّت عنه القبائل فيما حول مكة، فأقبلوا علىٰ دين الله ونصروه بألسنتهم، ونصروه بأعمالهم، ونصروه بسيوفهم وأرواحهم.

---

(١) (القصص:٦٨).

(٢) (الفتح:١٨).

فرضي الله عنهم أجمعين كفاءَ ما بذلوا، وكفاءَ ما عملوا، وكفاءَ ما أدَّوا لهذه الأمة ونقلوا دين الله إلىٰ الناس أجمعين.

كان من هؤلاء من وصفه النبيُّ ﷺ بأنه حكيم هذه الأمة فيما روي عنه -عليه الصلاة والسلام- من وجه مرسل؛ فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**حَكِيمُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو الدَّرْدَاءِ**»(١).

وأبو الدرداء هذا صحابيٌّ من الأنصار، خزرجيٌّ، هو عويمرُ بنُ زيد بنِ قيس، وقيل: عويمر بن عامر، كان عبدًا صالحًا، وكان سيِّدًا من سادات القراء، لم يجمع من الصحابة القرآن كاملًا علىٰ عهده -عليه الصلاة والسلام- إلا نفر قلائل؛ كان منهم أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه، أسلم أبو الدرداء رضي الله عنه أسلم يوم بدر بالمدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ أُحدًا والمشاهد بعدها.

ولما رأىٰ النبيُّ ﷺ حاله يوم أحد، حاله في دفاعه عن النبيِّ ﷺ لما تفرَّق عنه الناس قال: «**نِعْمَ الْفَارِسُ عُوَيْمِرُ**»(٢)، وكان أبو الدرداء بيتًا للحكمة، وبيتًا للعلم، بهذا ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء دمشق، وتُوفي رضي الله عنه بدمشق في آخر خلافة عثمان، كان له أصحاب، وكان يعظ الناس بكلامه لكي يتأثر الناس، وكان يعظ الناس بعمله، بعمل صادق، فجمع في الوعظ وجمع في الهداية بين العمل والخوف، تأثر الناس بعمله، وتأثر الناس بقوله.

وإنه لما ينبغي علينا -أيُّها المؤمنون- أن ننظر في أقوال صحابة

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٧/ ١٠٩).

(٢) تاريخ دمشق (٤٧/ ١٠٩-١١٠).

رسول الله ﷺ لننظر كيف نقلوا الإسلام قولًا وعملًا إلىٰ الناس بعدهم إلىٰ زماننا، وكل صلاح يرجىٰ في الناس فإنما يكون بالنظر في حال صحابة رسول الله ﷺ، وبتدارس أقوالهم، والنظر في أعمالهم، ففي النظر في أعمالهم ما يجعل المرء ذا همة قوية في طلب الحق، وفي الجهاد والاجتهاد في العلم والعمل، وبالنظر إلىٰ أقوالهم يكون المرء في مدرسة وفي تربية يفقدها إذا لم يُقبل علىٰ هؤلاء الصحابة -رضوان الله عليهم- ويدرسوا أقوالهم ويتدبروا.

أبو الدرداء رضي الله عنه كان ذا حكمةٍ غريبةٍ بليغة، ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: «حَدِّثُونَا عَنِ الْعَاقِلَيْنِ، قَالُوا: يَا ابْنَ عُمَرَ وَمَنِ الْعَاقِلانِ؟ قَالَ: مُعَاذٌ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ»(١).

معاذ كان في شأنه في الإسلام وفي علمه بالحلال والحرام ما تعلمون، وأما أبو الدرداء فأقواله وأحاديثه في التربية وفي إصلاح النفس والمجتمع كثرت في كتب أهل العلم، ونأخذ منها شيئًا ليكون دليلًا علىٰ غيره؛ لعلَّنا نتَّعظ كما اتعظ أصحابه رضي الله عنهم.

حدِّثونا عن العاقلين معاذ وأبو الدرداء، أبو الدرداء رضي الله عنه كان من أقواله أن قال: (اُطْلُبُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ)(٢)، وهذه وصية للأمة جميعًا؛ لأن أشرف ما في هذه الأمة العلم وأي علم! العلم بالله ﷻ، العلم بكتابه وسنة رسوله ﷺ؛ لأن هذا هو

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٣٥٠) وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٧/ ٢٧) و(٨/ ٢٤٥).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ (٢/ ٣٥٧) وأحمد في الزهد (ص١٣٧).

العلم الذي أُمر المصطفىٰ ﷺ بالازدياد منه، قال جل وعلا لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[١].

قال العلماء: لم يأمر الله نبيَّه ﷺ أن يدعوه بالازدياد من شيء إلا من العلم. وأهل العلم مرفوعون درجات: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٢] لهذا أبو الدرداء رضي الله عنه قال: (اُطْلُبُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ) لأن الناس ليسوا علىٰ حدٍّ سواء في أن يكونوا طلبة علم ومقبلين علىٰ العلم، قال: (فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ)؛ لأن محبَّة أهل العلم تجعل المحبَّ مع من يحبُّ، تجعله يسأله ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم، ويكون ذا صلة بهم.

إن لم تحصل المحبة، قال: (إِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ)؛ لأن بغض أهل العلم بغضٌ لصفوة المؤمنين؛ لأن الله -جل وعلا- أمرنا بمحبَّة المؤمنين جميعًا؛ قال -جل وعلا-: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[٣]. يعني بعضهم يحبُّ بعضًا وينصر بعضه، وأولىٰ أهل الإيمان بالمحبة أكثرُهم خشية وأكثرهم علمًا، لهذا قال: (فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ) وأي جناية أيُّها المؤمن تجنيها علىٰ نفسك إذا أبغضت أهل العلم! وكيف يكون بغضهم؟ يكون بأشياء: إما بمسبَّتهم، وإما بنقدهم، وإما بأن تكون وقَّاعًا فيهم؛ تارةً بحق وتارة بباطل.

أهل العلم ليسوا كاملين معصومين، لكن إن رأيت فيهم نقصًا فإشاعة النقص في الناس يعني أن لا يأخذ الناسُ من أهل العلم، فإن ترك الناس

---

(١) (طه:١١٤).

(٢) (المجادلة:١١).

(٣) (التوبة:٧١).

أهل العلم لا يأخذون منهم، فمعنىٰ ذلك الجنايةُ علىٰ أهل الشريعة، فممن يأخذ الناس الشريعة إن لم يأخذوها من أهل العلم؟! لهذا جاءت وصيَّة أبي الدرداء عويمر بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقول لك: (اُطْلُبُوا الْعِلْمَ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ فَأَحِبُّوا أَهْلَهُ، فَإِنْ لَمْ تُحِبُّوهُمْ فَلا تُبْغِضُوهُمْ)، ليبقىٰ في القلب إجلالُ أهل العلم الذين ملءُ صدورهم كتابُ الله، والعلمُ بسنة المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأيضًا من أقوال أبي الدرداء أنه قال لأصحابه يومًا: (إِنِّي لآمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ وَمَا كُلُّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَعَلْتُهُ، وَلَكِنِّي أَرْجُو الأَجْرَ بِأَمْرِكُمْ)[1]؛ وهذا من الفقه العظيم في دين الله، وليس من قبيل أنه يأمر ولا يفعل الذي ذُمَّ، ولكن العبد المؤمن يجمع في امتثاله للشرع بين امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهو عليه أن يأمر بالخير وعليه أن يمتثل بالخير، فإن فاته أحدهما فلا يجوز له أن يفوِّت الآخر. لهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ مالك بن أنس إمام دار الهجرة قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما كل ما نأمركم به نفعله، ولو تركنا الأمر لأجل عدم الفعل ما أمرناكم إلا بالقليل»[2]. هل معنىٰ ذلك أنهم يتركون الأمر إلىٰ محرم؟ لا، ولكن أهل العلم وأهل الاجتهاد عندهم من معرفة الأحكام ما يرتبون فيه المصالح، ويجعلون الحسنات درجات. وليس كذلك كل من أمر بمعروف أو نهىٰ عن منكر. لهذا قال أبو الدرداء: (إِنِّي لآمُرُكُمْ بِالْخَيْرِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَعَلْتُهُ، وَلَكِنِّي أَرْجُو الْخَيْرَ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ). يعني: أنه يأمر بمستحبات، يأمر بأشياء من الخير يفعلونها، وليس كل ما أمرهم به

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١١١ رقم٣٤٥٩١) وأبو داود في الزهد (٢١٤) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٤٨-١٤٩) نحوه.

(٢) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١/ ٩٧-الكتب العلمية).

فعله؛ لأنه منشغل عنه بما هو أهم منه في حقه، وأما في حقهم فليس الأمر كذلك، بل لابدَّ أن يكونوا مأمورين بهذا. وإذا أتته الفرصة وكان في فراغ من أمره؛ فإنه يرغب في المستحب، وفي غير المستحب يعني في الواجب ودرجاته؛ كما قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾[1] يعني بأنواع الواجبات والمستحبات.

بعض الناس لا ينتبهون لهذه المقالة ولهذا الأصل الشرعي، فإذا كان علىٰ شيء من الخطأ قال: أنا لا آمر بالخير؛ لأني لا أمتثله، ولا أنهىٰ عن المنكر؛ لأني ربما فعلته! وهذا غلط علىٰ الشريعة؛ لأنه يجب عليك أن تأمر وتمتثل، فإن فاتك الامتثال فلا يفتك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلابدَّ أن تمتثل هذا وتجتنب هذا، فهذا واجب، وهذا واجب، وإذا فاتك أحدُ الواجبين فلا يجوز أن تفوِّت الآخر.

ومن أقوال أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال لأصحابه مرة: (اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قَالُوا: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ؟ قَالَ: أَنْ يُرَىٰ الْجَسَدُ خَاشِعًا وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ)[2]. وقد ثبت عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**أول ما يُسلب من هذه الأمة الخشوع، فترىٰ الناس يصلون في المساجد لا تكاد تجد فيهم رجلًا خاشعًا**»[3].

---

(١) (الشرح:٧-٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص٤٦-٤٧رقم١٤٣) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٢٤٣رقم٣٥٧١١) وأحمد في الزهد (ص١٤٢) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣٦٤رقم٦٩٦٦).

(٣) رواه الترمذي في جامعه في كتاب العلم: باب ذهاب العلم، حديث (٢٦٥٣) ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه موقوفًا. قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب». =

«استعيذوا بالله من خشوع النفاق» أن يُرىٰ الجسد خاشعًا مطرقًا في الصلاة، ولكن القلب ليس بخاشع، هذه حال أهل النفاق؛ لأنهم في الصلاة يصلون مع المسلمين، ولكن قلوبهم ليست خاشعة لله، بل يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا.

لماذا قال أبو الدرداء: «استعيذوا بالله من خشوع النفاق»؟ ليقرَّ في قلوبنا أن لا نجعل ذلك أمرًا مسلَّمًا مرضيًّا به.

كثيرون من يكون في قلوبهم عدم الخشوع، ويكون خشوعهم خشوع بدن، وهو يعلم أن قلبه ينازعه إلىٰ أنواع من الكبائر والمنكرات، وينازعه إلىٰ أنواع من ترك الواجبات، ثم يقول له أبو الدرداء: «استعيذوا بالله من خشوع النفاق»، يعني: إذا كنت علىٰ هذه الحال؛ فلا ترض من نفسك بهذه الحال، بل استعذ بالله، والتجئ إليه، واعتصم به، ولُذ به، وأقبل عليه؛ لكي يزيل ما في قلبك من خشوع النفاق، وهو أن يكون القلب غير خاشع، ترىٰ الناس يصلون، ولكن الخاشع منهم قليل، كان صحابة رسول الله ﷺ يتعبدون العبادات، وربما كان من بعدهم أكثر منهم تعبُّدًا، ولكن كانوا يتعبَّدون بقلوب خاشعة.

لهذا لما قيل للحسن البصري رضي الله عنه: «هؤلاء التابعون أكثر عبادة من صحابة رسول الله ﷺ، فكيف كان الصحابة أرفع منهم منزلة؟

قال الحسن: «كان الصحابة يتعبدون والآخرة في قلوبهم، وأما هؤلاء

= ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه في مسند الشاميين (٢/ ٤٠٠رقم١٥٧٩) مختصرًا، وفي الكبير أيضًا كما في مجمع الزوائد (٢/ ٣٢٦رقم٢٨١٣)، وقال الهيثمي: «إسناده حسن».

فيتعبدون والدنيا في قلوبهم، وشتان ما بين هذا وهذا».

لهذا؛ أبو الدرداء أيضًا قال: (يَا حَبَّذَا نَوْمُ الأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ، كَيْفَ يَغْبِنُونَ سَهَرَ الْحَمْقَىٰ وَصَوْمَهُمْ، وَلَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ مَعَ تَقْوَىٰ وَيَقِينٍ أَعْظَمُ وَأَرْفَعُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ عِبَادَةً مِنَ الْمُغْتَرِّينَ)[1].

المقصود خشوع القلب، وخشوع القلب معناه استكانتُه وإقبالُه وخضوعُه وسكونُه لله -جل وعلا-، فلنستعذ بالله من خشوع أهل النفاق.

اللهم إنا نعوذ بك من خشوع أهل النفاق، اللهم اجعل خشوعنا خشوع أهل الإيمان ظاهرًا وباطنًا يا كريم.

ومن أقوال أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال -رحمه الله ورضي عنه- وقد مرَّ علىٰ رجل عمل ذنبًا وحوله أناسٌ يسبُّونه؛ رجلٌ عمل ذنبًا وعلم بذنبه أناس، فمرَّ عليهم أبو الدرداء وهم يسبونه، فقال لهم أبو الدرداء -وهو البصير بعلاج البعيد عن الدين، وعلاج أهل العصيان، وعلاج أهل القلوب المريضة-، فقال لهم: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَاعِ قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا مُخْرِجِيهِ مِنْهَا؟ قَالُوا: بَلَىٰ. قَالَ: فَاحْمَدُوا اللهَ الَّذِي عَافَاكُمْ وَلا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ»[2] احمدوا الله الذي عافاكم ولا تسبوا أخاكم.

لكن انظر إلىٰ تمثيله بأن أهل الإيمان إذا وجدوا رجلًا قد وقع في ذنب

---

(١) رواه أحمد في الزهد (ص:١٣٧-١٣٨) وابن أبي الدنيا في اليقين (٨) وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ٢١١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٧٥).

(٢) رواه معمر في الجامع (١١/ ١٨٠ رقم٢٠٢٦٧) وأبو داود في الزهد (٢٣٢) ومن طريق معمر أبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٨٩ رقم٦٦٩١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/ ١٧٧).

فإنهم لا يتركونه، بل مثَّله بمن كان في قليب لا يجد من ينجيه منها، في قاع قليب. فماذا يفعل أهل الإيمان مع أخ لهم قد وقع في مهلكة؟ أيسبُّونه ويقولون: لم تدخل هذا القليب، ولم تجعل نفسك هكذا، وهكذا إلىٰ آخره؟ لا؛ بل يسعون في نجاته ويحرصون علىٰ ذلك.

إذًا فالسلبي هو الذي يسبُّ، بل إن سبَّ العاصي لا يجوز في الشريعة، بل نسأل الله لإخواننا الهداية، ونحمد الله الذي عافانا، ثم نسعىٰ في أن ننقذهم من شر الذنوب والعصيان؛ لأنهم ما أذنبوا إلا بوقوعهم فريسة لمكر إبليس عدو الله وعدونا. إذًا فهذه الوصية -أيُّها المؤمن- وصية عظيمة، إذا رأيت أحدًا وقع في معصية؛ فلابدَّ أن تبذل له السبب.

وإذا نظرنا -أيُّها الإخوة- في زماننا هذا وجدنا أن كثيرين يسمعون بأناس وقعوا في معصية، فتجده يقول: هذا وقع في كذا وكذا، وهذا يذهب ويسافر ويفعل كذا وكذا، وهذه العائلة حصل منها كذا وكذا.

وتراه ينتقده بشدة ويسبُّه، وربما استهزأ -والعياذ بالله-، وإذا سألته: ما الذي عملته لإخوانك في تركهم لهذه الذنوب؟ وجدته يقول: لم أفعل شيئًا، إذًا كان وسيلة من وسائل الشيطان.

أيضًا لأن النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكَهُمْ**»[1] يعني كان بمقاله ذلك سببًا في هلاكهم، والنبيُّ ﷺ نهىٰ أن نتحدَّث بكل ما سمعنا، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**مَنْ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**» أو قال: «**أَحَدُ الْكَاذِبَيْنِ**»، فلابدَّ أن نسعىٰ في إصلاح الغلط، وفي

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب: باب النَّهْي عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ، حديث (٢٦٢٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

نصح أهل الذنب، وأن نكتم الذنوب، وننشر الخيرات، إذا رأينا رجلًا عنده خير فلنقل: فعل كذا وكذا من الخير؛ لأنه بذلك ينتشر الخير؛ ويكون الناس يقتدي بعضهم ببعض في الخير، وأما إذا نشرنا الشرَّ، فإن الناس يتساهلون فيه وبه، فيقول: نعم فلانٌ فعل كذا وكذا من المعاصي، وهذا فعل كذا، وهذا فعل كذا، فيظن الظانُّ أن الشرَّ أكثر من الخير، فيتساهل بالشر فيقبل عليه. رحم الله ورضي عن أبي الدرداء، وجزاه خيرًا عن أصحابه، وعن الأمة بعده.

اللهم إنا نسألك أن تبصِّرنا بديننا، وأن تجعلنا من أتباع أصحاب نبيِّك ﷺ، اللهم نعوذ بك من الغفلة، ونسألك أن تجعلنا من أهل التذكر والتفكر، اللهم اجعل الآخرة في قلوبنا، ونعوذ بك أن تكون الدنيا في قلوبنا، اللهم اجعلها في أيدينا، وأخرجها من قلوبنا، اللهم استعملنا فيما تحب وترضىٰ، ونعوذ بك مما تسخط وتأبىٰ؛ يا كريم، نعوذ بك من الخزي في الدنيا، ومن العذاب في الآخرة، واسمعوا قول الله ﷻ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه.

---

(١) (سورة العصر).

* الخطبة الثانية:

الحمد لله علىٰ إحسانه، والشكر له علىٰ توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بالجماعة؛ فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار، وعليكم بتقوىٰ الله ﷻ، عليكم بتقواه؛ فإن من يتق الله يجعل له مخرجًا؛ كما قال ربنا ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾[2].

وتقوىٰ الله -أيُّها المؤمنون- في كل مقام بحسبه، إذا أتىٰ أمر لله -جل وعلا- فتقوىٰ الله أن تمتثل بهذا الأمر، إذا أتىٰ وقت الصلاة فتقوىٰ الله أن تصلِّي. إذا أتىٰ أمرٌ فتقوىٰ الله في هذا المقام أن تمتثل الأمر، وأن تأمر بالمعروف، وأن تنهىٰ عن المنكر، فتقوىٰ الله في هذا المقام أن تمتثل الأمر وأن تأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر. إذا أتىٰ مقامٌ فيه منكر وفيه معصية، فتقوىٰ الله أن تتذكر مقامك بين يدي الله، وأن تتذكر حق الله عليك، وأن تبتعد عن ذلك.

---

(١) (الطلاق:٢-٣).

(٢) (الطلاق:٤).

فتقوىٰ الله في كل مقام بحسبه، وجماعه أن تعتصم بأمر الله، وأن تعظِّم أمر الله ﷻ.

هذا؛ واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله ﷻ أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنَّىٰ بملائكته، فقال جل وعلا قولًا كريمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللهم علىٰ الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء؛ الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك؛ يا أرحم الراحمين»[1].

(١) سلسلة الخطب المنبرية (٠٨) من منتديات الإمام الآجري.

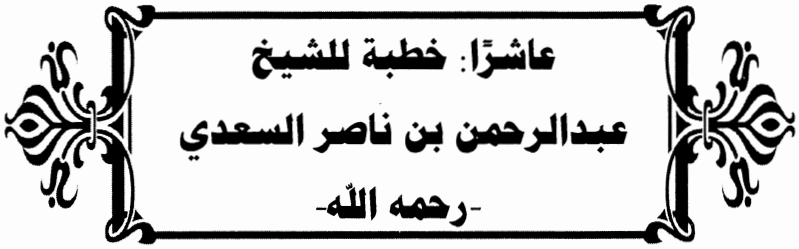

خطبة في نعيم البرزخ وعذابه

الحمد لله الذي لم يزل قائما بشؤون الخليقة علىٰ أحسن نظام، لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل علىٰ الكمال والتمام، فهو الملك العظيم القدوس السلام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجلال والإكرام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد الأنام، اللهم صل وسلم علىٰ محمد وعلىٰ آله وأصحابه البررة الكرام .

أما بعد: أيها الناس، اتقوا الله، واعلموا أن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم، وأنكم عند انتقالكم من الدنيا لا بد أن يمتحنكم ويسألكم ويجازيكم، فمن كان في الدنيا ثابتا علىٰ الصراط المستقيم ثبته الله عند مماته وفي قبره وبشر بالفوز والنعيم، ومن كان في هذه أعمىٰ معرضا عن الله فلا بد أن يلاقي ما قدمت يداه، قال ﷺ: «**إذا قبر الميت أتاه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول المؤمن: ربي الله، فيقولان: له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيه**

من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره. وأما الفاجر أو الكافر فإذا سأله الملكان من ربك وما دينك ومن نبيك قال: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته فيضربانه بمطرقة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنس والجن ولو سمعوها لصعقوا، فينادي مناد: أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا إلىٰ النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتىٰ تختلف أضلاعه فلا يزال معذبا إلىٰ أن تقوم الساعة»[1]. أما والله لو نشر لكم أهل القبور، فحدثوكم بما وصلوا إليه من عظائم الأمور لقالوا: قد وجدنا ما وعدنا الله ورسوله حقا ولم نفقد من أعمالنا مثقال ذرة من خير أو شر فأصبحنا مرتهنين صدقًا، أما طائعنا فقد اغتبط بعمله ولقي الفوز والروح والريحان، وأما عاصينا فقد باء بالخيبة والحسرة والهوان، يتمنون الرجوع إلىٰ الدنيا ليتوبوا، ويودون أن لو مكنوا ليعملوا صالحًا وينيبوا، وأنتم إلىٰ ما صاروا إليه صائرون، وبكأس الحمام الذي يدور علىٰ الخليقة شاربون فتوبوا إلىٰ ربكم ما دمتم في زمن الإمهال، وتقربوا إليه بما استطعتم من صالح الأعمال، ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[2] إلىٰ آخر السورة. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم[3].

---

(١) أبو داود السنة (٣٥٧٤)، أحمد (٤/ ٨٨٢).

(٢) سورة الواقعة آية: ٣٨ .

(٣) من كتاب الفواكه الشهية في الخطب المنبرية للعلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص: ١٧-٢٧).

الحادي عشر: خطبة الشيخ علي الحذيفي

بعنوان: «أهمية التوبة»

أمَّا بعد: فاتَّقوا الله - معشر المسلمين! - حقَّ التقوىٰ، فتقوىٰ الله الجليل عُدَّة لكلِّ شدَّة، وحصنٌ أمين لمَن دخله، وجُنَّةٌ من عذاب الله.

واعلموا -عبادَ الله!- أنَّ ربَّكم خلق بني آدم معرَّضًا للخطيئات، ومعرَّضًا للتقصير في الواجبات، فضاعف له الحسناتِ، ولم يضاعِف عليه السيِّئات؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، فَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». رواه البخاري[2].

فشرَع الله لكسبِ الحَسَنات طرُقًا للخيرَات، وفرائضَ مكفِّراتٍ

---

(١) (الأنعام:١٦٠).

(٢) رواه البخاري في الرقاق: باب مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، حديث (٦٤٩١)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه مسلم في الإيمان: باب إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث (١٣١).

للسيِّئات رافعةً للدَّرجات، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَ الْكَبَائِرُ**» رواه مسلم(١)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلاهَا مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلاّ أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ**» رواه البخاري(٢)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ: بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» رواه البخاري ومسلم(٣)، وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**»، قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟! قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟! قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**» رواه البخاري ومسلم(٤)، وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَحْقِرَنَّ مِنَ**

---

(١) رواه مسلم: في الطهارة: باب الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ، حديث (٢٣٣).

(٢) رواه البخاري في الهبة: باب فَضْلِ الْمَنِيحَةِ، حديث (٢٦٣١).

(٣) رواه البخاري في الإيمان: باب أُمُورِ الإِيمَانِ، حديث (٩)، ومسلم في الإيمان: باب بيان عدد شعب الإيمان..، حديث (٣٥).

(٤) رواه البخاري في العتق: باب أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ، حديث (٢٥١٨)، ومسلم في الإيمان: باب بَيَانِ كَوْنِ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ أَفْضَلَ الأَعْمَالِ، حديث (٨٤).

الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ» رواه مسلم(١)، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا» رواه مسلم(٢).

وكما شرع اللهُ كثرةَ أبوابِ الخير وأسباب الحسنات سدَّ أبوابَ الشرِّ والمحرَّمات، وحرَّم وسائلَ المَعاصي والسيِّئات، ليثقلَ ميزانُ البرِّ والخير، ويخِفَّ ميزانُ الإثم والشرِّ، فيكون العبد من الفائزين المفلحين، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ» رواه البخاري ومسلم(٤).

وجِماع الخير ومِلاك الأمر وسببُ السعادة التوبةُ إلىٰ الله تعالىٰ، قال ﷻ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٥).

ومعنىٰ التوبةِ هي الرجوعُ إلىٰ الله والإنابةُ إليه مِن فعلِ المحرَّم والإثم،

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب: باب اسْتِحْبَابِ طَلاَقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، حديث (٢٦٢٦).

(٢) رواه مسلم في الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ: باب اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللهِ تَعَالَىٰ بَعْدَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ، حديث (٢٧٣٤).

(٣) (الأعراف:٣٣).

(٤) رواه البخاري في الاعتصام: باب الاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حديث (٧٢٨٨)، ومسلم في الفضائل: باب تَوْقِيرِهِ ﷺ وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لاَ ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لاَ يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ، وَمَا لاَ يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، حديث (١٣٣٧).

(٥) (النور:٣١).

أو مِن ترك واجبٍ أو تقصير فيه، بصدقِ قلبٍ، ونَدمٍ علىٰ ما كان.

والتوبة النّصوحُ يحفَظ الله بها الأعمالَ الصّالحة التي فعَلها العبد، ويكفِّر الله -تبارك وتعالىٰ- بها المعاصيَ التي وقعت، ويدفعُ الله بها العقوباتِ النّازلةَ والآتيَة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[1]. روىٰ ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية عن قتادة قال: «لم ينفَع قرية كفرت ثمَّ آمنت حينَ حضرها العذاب فتُرِكت إلاَّ قوم يونس، لمَّا فقدوا نبيَّهم وظنُّوا أنَّ العذابَ قد دنا منهم قذَف الله في قلوبِهم التَّوبةَ، ولبِسوا المسوح، وألهَوا بين كلِّ بهيمة وولدها - أي: فرَّقوا بينهما -، ثمَّ عجُّوا إلىٰ الله أربعين ليلة، فلمَّا عرَف الله الصِّدقَ من قلوبِهم والتَّوبة والنَّدامةَ علىٰ ما مضىٰ منهم كشفَ الله عنهم العذابَ بَعد أن تدلَّىٰ عليهم»[2] انتهىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[3].

والتوبةُ واجبَة علىٰ كلِّ أحدٍ مِن المسلمين، فالواقعُ فِي كبيرة تجب عليه التّوبة لئلاَّ يبغتَه الموتُ وهو علىٰ معصية، فيندم حين لا ينفع الندم، والواقعُ في صغيرةٍ تجِب عليه التَّوبة؛ لأنَّ الإصرارَ علىٰ الصغيرة يكون من كبائر الذُّنوب، والمؤدِّي للواجباتِ التاركُ للمحرَّمات تجِب عليه التَّوبة أيضًا لما يلحَق العملَ مِن الشُّروط وانتفاء موانع قبوله، وما يُخشَىٰ علىٰ

---

(١) (يونس:٩٨).

(٢) (يونس:٩٨).

(٣) (هود:٣).

العمَل من الشَّوائب المحذَّر منها كالرِّياء؛ عن الأغرِّ بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**» رواه مسلم(١).

والتّوبة بابٌ عظيم تتحقّق بهِ الحسنات الكبيرةُ العظيمة التي يحبُّها الله؛ لأنَّ العبدَ إذا أحدَث لكلِّ ذنبٍ يقَع فيه توبةً كثُرت حسناتُه ونقصَت سيِّئاتُه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(٢).

أيُّها المسلمون! تذكَّروا سعَةَ رحمةِ الله، وعظيمَ فضلِه وحِلمِه وجودِه وكرمِه، حيثُ قبِل توبةَ التائبين، وأقال عثرةَ المذنبين، ورحِم ضعفَ هذا الإنسان المسكين، وأثابَه علىٰ التَّوبة، وفتحَ له أبوابَ الطَّهارة والخيرات، عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**» رواه مسلم(٣).

والتّوبة من أعظمِ العبادات وأحبِّها إلىٰ الله تعالىٰ، من اتّصفَ بها تحقَّق

---

(١) رواه مسلم في الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ: باب اسْتِحْبَابِ الاسْتِغْفَارِ وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، حديث (٢٧٠٢).

(٢) (الفرقان:٦٨-٧٠).

(٣) رواه مسلم في التوبة: باب قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْ الذُّنُوبِ وَإِنْ تكَرَّرَتْ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث (٢٧٥٩).

فلاحُه، وظهَر في الأمور نجاحُه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾[١].

وكفىٰ بفضلِ التَّوبة شرفًا فرحُ الرّبِّ بها فرحًا شديدًا؛ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ**» رواه البخاري ومسلم[٢].

والتَّوبة من صفاتِ النبيِّين -عليهم الصلاة والسلام- ومن صفات المؤمنين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]، وقال تعالىٰ عن موسىٰ -عليه الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤]، وقال تعالىٰ عن داود -عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٥]، وقال ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٦]. ألا ما أجلَّ صفةَ التَّوبة التي بدَأ الله بها هذه الصفاتِ المُثلىٰ من صفاتِ الإيمان.

---

(١) (القصص:٦٧).

(٢) رواه البخاري في الدعوات: باب التَّوْبَةِ، حديث (٦٣٠٩)، ومسلم في التوبة: باب فِي الْحَضِّ عَلَىٰ التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا، حديث (٢٧٤٧).

(٣) (التوبة:١١٧).

(٤) (الأعراف:١٤٣).

(٥) (ص:١٧).

(٦) (التوبة:١١٢).

والتَّوبة عبادةٌ للهِ بالجوارِح والقلب، واليومُ الذي يتوبُ الله فيه علىٰ العبدِ خيرُ أيَّام العُمُر، والسَّاعة التي يفتَح الله فيها لعبدِه بابَ التَّوبة ويرحمُه بها هي أفضلُ ساعاتٍ في الدَّهر؛ لأنَّه قد سعِد سعادةً لا يشقىٰ بعدها أبدًا؛ عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصَّة توبَة الله عليه في تخلُّفه عن غزوة تبوك أنَّه قال: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**». رواه البخاريُّ ومسلم[1].

معشرَ المسلمين! إنَّها تُحيطُ بِكم أخطارٌ عظيمة، وتنذِركم خطوبٌ جَسيمة، وقد نزَل مِن أعداء الإسلام بالمسلمين نوازلُ وزلازل، وأصابتهُم الفتَن والمِحن، وإنَّه لا مخرَجَ لهم من هذه المضايِق وهذه الكُربات إلاَّ بالتَّوبة إلىٰ الله والإنابَة إليه، فالتَّوبة واجبةٌ علىٰ كلِّ مسلِم علىٰ وجهِ الأرض من الذُّنوب صغارِها وكبارها؛ ليرحمَنا الله في الدُّنيا والآخرة، ويكشِف الشرورَ والكرُبات، ويقيَنا عذابَه الأليم وبطشَه الشَّديد.

قال أهلُ العِلم: إذا كانتِ المعصيةُ بينَ العبد وبين ربِّه لا حقَّ لآدميٍّ فيها، فشروطُها أن يقلِعَ عن المعصيةِ، وأن يندَمَ علىٰ فعلها، وأن يعزمَ أن لا يعودَ إليها أبدًا، وإن كانتِ المعصيةُ تتعلَّق بحقِّ آدميٍّ فلابدَّ مع هذه الشُّروط أن يؤدِّيَ إليه حقَّه أو يستحلَّه منه بالعفو.

والتَّوبة من جميع الذُّنوب واجبةٌ، وإن تاب من بعضِ الذُّنوب صحَّت توبتُه من ذلك الذّنب، وبقيَ عليه ما لم يتُب منه.

فتوبوا إلىٰ الله أيُّها المسلمون! وأقبِلوا إلىٰ ربٍّ كريم، أسبَغَ عليكم نعمَه

---

(١) رواه البخاري في المغازي: باب حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، حديث (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة: باب حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ، حديث (٢٧٦٩).

الظاهرةَ والباطنة، وآتاكم من كلِّ ما سألتموه، ومدَّ في آجالِكم، وتذكَّروا قصصَ التائِبين المنيبين الذين مَنَّ الله عليهم بالتَّوبة النَّصوح بعد أن غرقوا في بحارِ الشهوات والشُّبهات، فانجَلت غشاوةُ بصائِرهم، وحيِيَت قلوبُهم، واستنارت نفوسُهم، وأيقظهم اللهُ من موتِ الغفلةِ، وبَصَّرَهم مِن عمَىٰ الغَيِّ وظلماتِ المعاصي، وأسعدَهم من شقاءِ الموبِقات، فصاروا مَولودِين من جَديد، مستبشرين بنعمةٍ من الله وفضل، ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾(١).

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

بارَك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَني وإيَّاكم بما فيه من الآياتِ والذِّكر الحكيم، ونفعنا بهَدي سيِّد المرسلين وبقولِه القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم.

الحمدُ لله العزيز الوهَّاب، الذي خلق الأسباب، وقدَّر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريعُ الحساب. أحمد ربِّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له شهادةً مبرَّأة من النفاق والارتياب، وأشهد أنَّ نبيَّنا وسيِّدنا محمَّدًا عبده

---

(١) (آل عمران:١٧٤).

(٢) (التحريم:٨).

ورسوله المنعَم عليه بأفضل كتاب، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمَّد وعلىٰ آله والأصحاب.

أمَّا بعد: فاتَّقوا الله تعالىٰ وأطيعوه، فإنَّ طاعته أقوم وأقوىٰ، وتزوَّدوا بهذه التَّقوىٰ لداركم الأخرىٰ، فإنَّها دار القرار، نعيمُها أبدي، وعذابها سرمدي، واشكُروا نعمَ الله عليكم بطلبِ رضوانِه، وملازمة طاعتِه، والبعدِ عن معصيته.

وأعظمُ النِّعم نعمة الإسلام والإيمان، وما أجلَّ نعمةَ الأمن والأمَان. الأمنُ تنتظِم به مصالحُ الدُّنيا والدِّين، وتصلح به الحياةُ في جميع جوانبها، وتندفِع بوجودِه الشُّرور والمخاوف عن النَّاس، وتدرُّ معه الخيرات، وقد امتنَّ الله به علىٰ أهلِ بيته العتيق في قوله: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وبيَّن النبيُّ ﷺ قدرَ نعمة الأمن وفضلَها بقوله: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ ءَامِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**» رواه الترمذي[2] وقال: «حديث حسن»، من حديث عبيد الله بن محصن الأنصاري الخطمي رضي الله عنه.

وشكرُ هذه النِّعمة بالمحافظة علىٰ أسبابِها، والحذرِ من أسباب اختلالها. ومن أسبابِ المحافظةِ علىٰ الأمن الأخذُ علىٰ يدِ العابثين بالأمن والاستقرار، من السُّفهاء والفسَّاق والمجرمين الذين يهدمون ولا يبنون،

---

(١) (القصص:٥٧).

(٢) رواه الترمذي في الزهد: باب (٣٤)، حديث (٢٣٤٦). ورواه ابن ماجه في الزهد: باب: القناعة، حديث (٤١٤١).

ويفسدون ولا يُصلحون، ويفارقون جماعةَ المسلمين وإمامَهم، قد زيَّن لهم الشيطان صنيعَهم، ودفعهم إلىٰ مزالقِ الشرِّ أعداءُ بلادهم، الذين شوَّهوا صورةَ الإسلام، وحقَّقوا مكاسبَ لأعداءِ الإسلام بهذه الأعمال التخريبيَّة الإجراميَّة الإرهابيَّة التي تظهَر بين آونةٍ وأخرىٰ.

فإنَّ أمنَ بلدكم مسئوليَّة الجميع، فمَن عُلم عنه التوجُّهُ لهذا المسلك الخبيثِ والإعداد للإفساد في الأرض فيجب رفعُ أمره للسُّلطة، قبل أن يحدثَ شيء من الحدَث الذي يحقِّق أهدافَ أعداءِ الأمَّة، ويحقِّق أهدافَ أعداءِ البلاد.

وعلىٰ الشَّباب الذين غُرِّر بهم أن يبصِروا مواقعَ أقدامهم، وأن يحذَروا كلَّ فكرٍ يخالف كتابَ الله وسنَّة رسوله ﷺ، وأن لا ينخدِعوا لمن يدعو إلىٰ هذا الفكرِ المنحرِف، وإن زعَم لنفسه ما زعم، أو ادَّعىٰ له أحدٌ ما ادَّعىٰ، أو وصفه بما وصفه.

معشرَ الشَّباب! خذوا العلمَ من كتاب الله ومن سنَّة رسول الله ﷺ علىٰ فهم السَّلف الصَّالح؛ الذين جعلهم الله وسطًا بين الأمَم علىٰ يدِ الراسخين في العلم.

عبادَ الله! إنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[1]، وقد قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»[2].

---

(١) (الأحزاب:٥٦).

(٢) رواه مسلم في الصلاة: باب الصَّلاَةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ التَّشَهُّدِ، حديث (٤٠٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. =

فصلُّوا وسلِّموا علىٰ سيِّد الأوَّلين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّد وعلىٰ آل محمَّد كما صلَّيت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد، وبارك علىٰ محمَّد وعلىٰ آل محمَّد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنَّك حميد مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

اللهمَّ وارضَ عن الصَّحابة أجمعين...[1]

= ونحوه عند مسلم في الصلاة: باب اسْتِحْبَابِ الْقَوْلِ مِثْلَ قَوْلِ الْمُؤَذِّنِ لِمَنْ سَمِعَهُ ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَسْأَلُ اللهَ لَهُ الْوَسِيلَةَ، حديث (٣٨٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(١) ألقيت هذه الخطبة بالمسجد النبوي بتاريخ: ٣/ ٦/ ١٤٢٤هـ

الثاني عشر: خطبتا جمعة بعنوان (كلمة حق يجب أن تقال)

١٤٣٠/١٢/٣هـ

زيد بن محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-

* الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(٣).

---

(١) (آل عمران:١٠٢).

(٢) (النساء:١).

(٣) (الأحزاب: ٧٠-٧١).

أما بعد:

عباد الله! أوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله ﷻ، فقد فاز وسعد المتقون، وخاب وخسر المبطلون، ثم اعلموا -رحمكم الله- أن الله الذي خلق الخليقة كلَّف المكلَّفين بأوامر ليمتثلوها، وحرَّم عليهم المآثم والمحارم ونهاهم أن يقربوها، ولم يكلهم إلىٰ عقولهم ليعرفوه ويعبدوه ويقدروه حق قدره، بل أرسل إليهم رسلًا كرامًا، وبعث فيهم أنبياء عظامًا؛ جعلهم أمناء علىٰ وحيه، ووسطاء في تبليغ رسالاته، حيث أنزل علىٰ رسله كتبًا فيها تبيان كل شيء وهدىٰ ورحمة وبشرىٰ للمسلمين.

ألا وإن خير كتاب أُنزل علىٰ أعظم نبيٍّ بُعث وأرسل هو كتاب الله الفرقان الذي قال الله في حقه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[1]، وجعله شرفًا لنا، وفخرًا من مفاخرنا رحمة بنا وإحسانًا إلينا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾[2]. وتعبَّدنا بتلاوته، وفهم معانيه، والعمل بما دعا إليه جملةً وتفصيلًا، ومعه صحيح السنة الكريمة المطهَّرة، وكلاهما مصدر حياة القلوب والأرواح، لا حياة للبشرية إلا في ظلهما الظليل، ولا سعادة لهم إلا بالسير في خطهما المستقيم، الذي مَن سلكه فقد هُدي إلىٰ سواء السبيل، ألا وإن من جملة ما جاء به هذا الكتاب العظيم، وفصله لنا رسولنا محمد -عليه أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم- تفصيلًا جليًّا هو كيفية دعوة الخلق إلىٰ رحاب الحق، تلكم الدعوة التي هي وظيفة رسل الله الكرام، وأنبيائه العظام، وصفوة الخلق

---

(١) (الفرقان:١).

(٢) (الزخرف:٤٤).

من العلماء الربانيِّين الذين اصطفاهم ربهم واجتباهم، وجعلهم ورثة لتبليغ تعاليم الإسلام، مقتدين في دعوتهم وخلقهم وسلوكهم بالكتاب العظيم، وخلق الرسول الكريم عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكىٰ التسليم؛ قال تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1]. سبحان الله ما أجلَّها من وصيَّة! وما أزكاه من توجيه تلقَّاه الصادق الأمين -عليه أكمل الصلاة وأتم التسليم- من ربه أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين! وتبعه علىٰ ذلك من دعا بدعوته حقًّا وصدقًا إلىٰ يومنا هذا وإلىٰ يوم الدين، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2].

وحقًّا أقول -وأعوذ بالله من اللغو في القول-: إن في هذه الآية الكريمة لبيانًا واضحًا، وإعلانًا صارخًا، مفادُها أن صاحب الدعوة إلىٰ الله لابدَّ أن يكون علىٰ علم شرعي، وبيِّنة واضحة نيِّرة، قدوته نبيُّه محمدٌ ﷺ المخاطب بهذه الآية الفذة وأمثالها وغيرها، وأمته تبعٌ له في ذلك حذو القذة بالقذة، وبالدرجة الأولىٰ صفوةُ الأمة وهم أولو العلم والبصائر؛ الذين هم لأهل الأرض في الدلالة علىٰ المقصود والخير الوفير المنشود كنجوم السماء في هداية المسافرين منهم والمقيمين. وقال سبحانه في إيضاح شأن الدعوة والداعية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]. فيا لله كم فيها من ثناء وإشادة بكل من دعا إلىٰ الله من

---

(١) (النحل: من الآية١٢٥).

(٢) (يوسف:١٠٨).

(٣) (فصلت:٣٣).

أهل الإسلام والإيمان والإحسان، يرجو رحمة ربه، ويخشىٰ عقوبته، ولَم يخالف قولُه عملَه، ولا سريرتُه علانيتَه.

أيُّها المسلمون! هذا هو منهج الكتاب والسنة في دعوة الخلق إلىٰ رحاب الحق، وتبليغ رسالة الإسلام إلىٰ كافة الأنام، يحمل هذا المنهج في منطوقه ومفاهيمه ومضامينه الرفق، واللين، والعطف، والرحمة بالمدعوين ليخرجهم من ذل المعصية إلىٰ عز الطاعة، ومن موجبات العذاب إلىٰ موجبات الرحمة والرضوان من الله الكريم الرحمن، خلافًا لمن سلكوا مسالك المشوِّهين لدعوة الإسلام: من قتلٍ للأبرياء، وتفجير للمنشآت، واعتداء علىٰ الحرمات، وغير ذلك من التصرفات التي لا تقرها الشرائع التي جاء بِها الكُمَّل من الدعاة إلىٰ الله الذين أمرهم ربُّهم بالأسلوب الرحيم، والعرض الطيب الفهيم، يدعون أناسًا من البشر قد أوغلوا في الشرور، وسعوا في الأرض فسادًا في البراري والبحور، فصبروا عليهم واستمروا في دعوتِهم كما هو موضح في الكتاب والسنة ومسطور.

عباد الله! لقد سار الرعيل الأول ومن حذا حذوهم علىٰ نهج الكتاب والسنة بالفهم الصحيح، فانطلقوا في ميدان العمل علىٰ نور من الله يرجون ثواب الله، ثم ظهرت البدع في آخر عهد الصحابة الكرام، وكان من شرِّ البدع وأعظمها ضررًا وفسادًا في الأرض بدعة الخوارج، وبدعة الروافض، فأما الخوارج الذين قامت أصول منهجهم علىٰ تكفير المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، وانتهاك أعراضهم؛ إذ خرج أول عنق منهم في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فحكموا عليه بالكفر هو ومن معه، واستحلوا قتالهم وقتلهم، وحينما تجمَّعوا في أرض

حَرَوْراء كانت المبارزة بينهم وبين الخليفة الراشد ومن معه من الصحابة الكرام، فما هي إلا ساعات من الزمن حتىٰ قضىٰ الله عليهم، ونصر جند الحق بنصره المؤزر، وهم الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ومن معه من الصحابة الكرام.

ومن عام ألف وأربعمائة ابتليت دولتنا الرشيدة بخوارج هذا العصر الذين هم أشد خبثًا، وأخطر مكرًا بالإسلام والمسلمين من الخوارج الأوائل الذين خرجوا علىٰ الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقد خرجت عصابة شر غالية متطرفة أصحاب منامات سخيفات وأماني كاذبات، وأرهبت الناس في بيت الله الحرام وفي المسجد الحرام بالذات عام ألف وأربعمائة هجرية برئاسة محمد بن عبد الله القحطاني وجهيمان بن سيف العتيبي، ومعهم أسلحة وذخيرة، فطالبوا المسلمين ببيعة المهدي المزعوم تحت وطأة الضغط والقتل والترويع للمسلمين عمومًا ولأهل الحرم خصوصًا، ويالله كم سفكوا من الدماء ظلمًا وعدوانًا، وكان مصيرهم إلىٰ الدمار، وهم قرن من الخوارج قطعه الله؛ كما قال ﷺ في الخوارج: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قُطِعَ**»(١).

وتتابع خروج الخوارج في بلادنا العزيزة؛ فخرجت الفئة الضالة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٩٨ و٢٠٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣٣ رقم ٨٤٩٧)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

ورواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٦ رقم ٨٥٥٨) عن أبي هريرة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم نحوه.

انظر: الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله برقم (٣٢٠٣).

ذات الخلايا المتعددة، فقامت بالتفجير والتقتيل والتدمير في عدد كثير من مناطق المملكة العربية السعودية وكبريات مدنها بما فيها الحرمان الشريفان، فنتج عن خروجهم قتل لرجال الأمن وغيرهم من المسلمين الأبرياء، ولا تزال خلايا هذه الفئة في مواصلة شرِّها المستطير واعتداءاتها الآثمة الظالمة، لا يملكون رحمة لا لصغير ولا لكبير ولا لذكر ولا لأنثىٰ، ولا يعرفون حقًّا لعالم، كما لا يعرفون حقًّا لسلطان الله في الأرض، بل هم سابحون في طاعة الهوىٰ والشيطان، وفي غيِّهم يعمهون، قد تواصوا بالشرِّ واجتمعوا عليه، فهم لخططهم يُنفذون، فنسأل الله القوي العزيز أن يهزمهم، ويردَّ كيدهم في نحورهم، وأن يجعل تدبيرهم تدميرًا لهم، وأن يحيط بمن يوقدون نار الفتن ويؤججونها من وراء الجُدر والحجب، ويحسبون أنهم علىٰ شيء؛ ألا أنهم هم الكاذبون، وهم الخاسرون.

وفي هذه الأيام الماضية القريبة طلع عنقٌ من الخوارج والشيعة الجارودية الروافض الذين لا يلتقون مع المسلمين في شيء من أمر الدين، خرجوا أولًا علىٰ دولتهم اليمن، فروَّعوا الآمنين، وسفكوا الدماء ظلمًا وعدوانًا، ولم يقتصروا علىٰ جريمتهم هذه، بل توجهوا بعد التخطيط الرهيب إلىٰ بلادنا المملكة العربية السعودية، مبتدئين بالقرىٰ والهجر داخل بلادنا، يستعملون الأسلحة الفتَّاكة، فأخرجوا السكان من منازلهم، وسفكوا الدم، وأخذوا المال، وأخافوا السبيل، وتوسَّعوا داخل القرىٰ السعودية سعيًا بالفساد، والله لا يحبُّ المفسدين، فتصدت لهم الجيوش السعودية بعد صبر مديد، فأذاقهم الله بأيدي جنودنا البواسل العذاب الدنيوي، مع ما يُدَّخر لهم من العذاب الأخروي، ولا أقول ذلك تخرُّصًا،

بل قد قال النبيُّ الكريم ﷺ في حق الخوارج: « هُمْ كِلابُ النَّارِ»[١]، و«شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ»[٢]، وأنهم «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[٣]، ولقد أشاد النبيُّ ﷺ بحسن الجزاء لمن قتلوه أو قُتل منهم؛ إذ قال ﷺ: «طُوبَىٰ لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ»[٤]، وتمنَّىٰ هو بنفسه أن يجدهم فيقتلهم قتل عاد وثمود[٥] لشدة شرهم وقوة خبثهم.

---

(١) رواه الترمذي في التفسير: تفسير آل عمران، حديث (٣٠٠٠)، وأحمد (٥/ ٢٥٠ و٢٥٣ و٢٥٦ و٢٦٩)، كلاهما عن أبي أمامة رضي الله عنه.

ورواه ابن ماجه في المقدمة: باب في ذكر الخوارج، حديث (١٧٣)، وأحمد (٤/ ٣٥٥ و٣٨٢)، كلاهما عن ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم في الزكاة: باب الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، حديث (١٠٦٧)، من حديث أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاريين رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري في المناقب: باب عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، حديث (٣٦١٠) و(٣٦١١)، ومسلم في الزكاة: باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، حديث (١٠٦٣) و(١٠٦٤) وفي باب التحريض علىٰ قتل الخوارج، حديث (١٠٦٦) و(١٠٦٧) و(١٠٦٨).

(٤) رواه أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ، حديث (٤٧٦٥)، وأحمد (٣/ ٢٢٤)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه أبو أمامة وابن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما في حديثيهما السابقين.

(٥) رواه أبو نعيم في المسند المستخرج علىٰ الصحيح: كتاب الزكاة (٣/ ١٢٧-١٢٨رقم٢٣٧٣) هكذا «قتل عاد وثمود» مجتمعَين.

ووقعا في الصحيحين مفترقين؛ فقوله ﷺ: «لأقتلنهم قتل عاد» هذه الجملة رواها البخاري في أحاديث الأنبياء: باب قَوْلِ اللهِ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾، حديث (٣٣٤٤)، ومسلم في الزكاة: باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، حديث (١٠٦٤).

وقوله ﷺ: «لأقتلنهم قتل ثمود» رواها البخاري في المغازي: باب بَعْثُ عَلِيٍّ بْنِ =

حقًّا؛ إن هؤلاء الحوثيين الخوارج الروافض لا يرقبون في مؤمن ولا مؤمنة إلاًّ ولا ذمَّةً، بل الكفَّار في معارك القتال أعفُّ قِتلة منهم لأعدائهم، فساء ما صنعوا، وخاب سعيهم، والبشرىٰ لكل مؤمن ومؤمنة أن الله نكَّس راياتهم، ومكَّن جنودنا البواسل من رقابهم، فساموهم سوء العذاب، وهم داخل بلادنا علىٰ رؤوس الجبال وسفوحها، وفي بطون الأودية وداخل القرىٰ المهجورة، فعلىٰ الشرذمة الحوثية ما يستحقون من غضب الله ومقته الأحياء منهم والميِّتين.

ولحكومتنا الرشيدة وجيوشها المظفَّرة من الله -عزَّ شأنه- سعادة الدارين، وحقيقة يجب أن تُقال: إن حكومتنا الرشيدة لا تعتدي علىٰ أحد مجاور أو غير مجاور، بل خُلقها الإحسان إلىٰ القريب والبعيد، غير أنها إذا اُعتدي عليها أكرمها الله بنصره علىٰ عدوِّها؛ لأنها دولة تُحكِّم شرع الله في أرض الله جملة وتفصيلًا، وتحتفي بالعقيدة السليمة، والمنهج الإسلامي السديد، وتطبِّق ذلك تطبيقًا عمليًّا في بلادنا العزيزة بلاد العلم والعلماء، والحكام الصالحين المصلحين، فكم من دارٍ للعلم أنشأت، وكم محكمة لإقامة الحدود والحقوق أسست، وكم منِ مرفق للأمن شيَّدت، وكم وزارات لشؤون الدين والدنيا أقامت ونفذت، ومن كان في شك مما أقول؛ فليسأل البعيد قبل القريب، وليفتح العينين إن كان قد بقي لديه شيء من العقل والإنصاف، فهنيئًا يا خادم الحرمين الشريفين، ويا أمراءنا الكرام،

=أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه إِلَىٰ الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، حديث (٤٣٥١)، ومسلم: في الزكاة: باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، حديث (١٠٦٤).

ويا علماءنا الأفاضل، ويا شعبنا العزيز، ثم هنيئًا ما أنتم عليه من الخير في دينكم ودنياكم، والذي نرجو من الله أن يمتدَّ ويتضاعف في دارنا الأخرىٰ التي نرجو أن يكون لنا ولكل مسلم ومسلمة من أولىٰ الأمم وأخراها الحسنىٰ وزيادة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه ثم توبوا إليه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

*** الخطبة الثانية:**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان علىٰ الصادق المصدوق الأمين؛ الذي رفع راية الإسلام بعد أن كان الناس في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء؛ إذ بعثه الله والناس في حاجة إلىٰ معرفة ربِّهم وتوحيده وتقديره حق قدره، فجاهد في الله حق جهاده، وبلَّغ البلاغ المبين، ودعا الثقلين أجمعين إلىٰ القيام بطاعة الله وترك معاصيه.

أما بعد: فإن الصراع بين الحق والباطل لا يخلو منه زمان أو مكان، فأهل الحق يدعون الناس إلىٰ الهدىٰ، ويبصِّرونهم من العمىٰ، وينادونهم إلىٰ نيل مرضاة الله، ودخول جنته التي أعدها لأهل طاعته من عباده الصالحين وأوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده المنصورين.

وأهل الباطل يدعون دائمًا إلىٰ موجبات غضب الله وسخطه، وأليم عذابه، ليحملوا أوزارهم وأوزار الذين يُضلُّونهم بغير علم.

وأقول -وأعوذ بالله من اللغو في القول-: إن شرذمة الحوثيين والمرتزقة معهم دعاة باطل وضلال، وأهل فساد في الأرض وإفساد؛

لأنهم قوم أهل فساد في الاعتقاد، وأهل فساد في المعاملة، وأهل فساد في الأخلاق والسلوك، فلما فسدوا سعوا في دعوة غيرهم إلىٰ الفساد، فانضمَّ إليهم في سعيهم من قلَّ نصيبه من العلم والعقل والإيمان، فاعتدوا علىٰ المملكة العربية السعودية كما قد أوضحته قريبًا، فتصدَّىٰ لهم جنود الحق جيوش المملكة العربية السعودية؛ دفاعًا عن عقيدتهم وحرماتهم، وعن وطنهم المسلم، وجميع من فيه من المواطنين والمقيمين جهادًا في سبيل الله، وطاعة لله ولرسوله ولولي أمرهم الذي أوجب الله طاعته في محكم القرآن؛ فقال -عز من قائل-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، فردَّ الله كيد الحوثيين في نحورهم، واندحروا خاسئين، ومن قُتل بسلاحهم من جنودنا البواسل مات فقد مات بأجله، وفاز بالثواب الجزيل الذي أعدَّه الله للمجاهدين في سبيله.

وإنني من فوق هذا المنبر لأوصي جنودنا علىٰ اختلاف رتبهم أن يدوموا علىٰ إلزام أنفسهم بإقامة الفرائض، وكثرة الذكر لله، وحسن الخلق، وحسن التعامل مع عباد الله، وأن يستصحبوا دائمًا الصدق والصواب والإخلاص في كل ما يقومون به من أعمالهم، وليكونوا علىٰ يقينٍ بأن جهادهم في هذا الثغر العظيم جنوب المملكة العربية السعودية من أشرف الجهاد؛ لأنه ملازمة لثغر من ثغور الإسلام، لا يستطيع أن يسدَّه سواهم من المواطنين، فأسأل الله أن يكون معينًا لهم وناصرًا وحافظًا، وله الحمد؛ فقد مكَّنهم حتىٰ طهَّروا ما دنَّسه الحوثيون بأقدامهم الوسخة، قطع الله دابرهم،

---

(١) (النساء:٥٩).

ثم ليكن جنودنا البواسل علىٰ يقين أيضًا أن مرابطتهم في هذا الثغر العظيم من أجلِّ الأعمال وأشرفها وأحسنها عاقبة في الدنيا والبرزخ والآخرة؛ فقد ثبت عن نبيِّنا محمد ﷺ أنه قال: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانُ**»(١) أي لا يُسأل في قبره، فهنيئًا لكم أيُّها الجنود المرابطون في نحور المفسدين المعتدين.

عباد الله! تعلمون أنكم في عشر ذي الحجة، وقد رغَّب النبيُّ ﷺ في التنافس فيها في صالح الأعمال؛ من صدقة، وصيام، وذكر لله ﷻ بقراءة القرآن وكثرة التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، فكم من نصٍّ صحيح صريح جاء في الكتاب والسنة يرشد المسلمين إلىٰ كثرة الذكر، وبيان آثاره علىٰ صاحبه في الدنيا والبرزخ والآخرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾(٢)، وأرشدنا الله سبحانه إلىٰ الإنابة الصادقة، والتوبة النصوح؛ فقال سبحانه ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾(٣)، وقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾(٤).

وفي هذه العشر يومُ عرفة؛ جاء الترغيب في صيامه عن النبيِّ ﷺ؛

---

(١) رواه مسلم: في الإمارة: باب فَضْلِ الرِّبَاطِ فِيْ سَبِيلِ اللهِ ﷻ، حديث (١٩١٣)، من حديث سلمان رضي الله عنه.

(٢) (الأحزاب:٤١-٤٢).

(٣) (الزمر:٥٤).

(٤) (التحريم:٨).

إذ قال: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ»(١).

واعلموا -رحمكم الله- أنه من السنن المؤكدة الأضحية؛ وهي شاة سليمة من العيوب عن الرجل وأهل بيته، فطيبوا بها نفسًا، ومما ينبغي التذكير به أن من أراد أن يضحيَ فإذا دخلت العشر لا يأخذنَّ من شعره ولا أظفاره شيئًا حتىٰ يضحِّيَ؛ لما ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ هِلالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ؛ فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ»(٢).

هذا؛ وصلُّوا وسلِّموا علىٰ من أرسله الله رحمة للعالمين محمدٍ الرسول الأمين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وعنَّا معهم بمنِّك وكرمك يا أكرم الأكرمين، اللهمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، ووفِّق جنودنا المجاهدين، وانصرهم علىٰ عدوِّك وعدوِّهم؛ إنك أنت القوي العزيز، اللهمَّ وفِّق وليَّ أمرنا في هذه البلاد المباركة الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود لما تحبُّ وترضىٰ، واجعل عمله في البرِّ والتقوىٰ، وانصره مؤزَّرًا علىٰ كل عدوٍّ داخليٍّ وخارجيٍّ، واجعل التوفيق حليفه في كل ما يأتي ويذر، اللهمَّ اجزه هو ووليَّ عهده الأمين والنائب الثاني عنَّا وعن الإسلام والمسلمين

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام: باب اسْتِحْبَابِ صِيَامِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ وَعَاشُورَاءَ وَالاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، حديث (١١٦٢)، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في الأضاحي: باب نَهْيِ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ وَهُوَ مُرِيدُ التَّضْحِيَةِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ أَوْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا، حديث (١٩٧٧).

خير الجزاء، وخذ بيده وناصيته إلىٰ نُصرة الحق المبين، ووفِّق جميع إخوانه وأعوانه، وارزقه بطانة ناصحة صالحة صادقة يا سميع الدعاء، اللهمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولوالديهم، واغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فصل

ولما كانت قراءة فاتحة الكتاب ركنًا من أركان الصلاة فرائضها ورواتبها ونوافلها، ولا تصح الصلاة إلا بقراءتها قراءة صحيحة لا لحن فيها يحيل المعنىٰ، رأيت أن أختم بها هذا البحث المختصر المبارك الذي يتعلَّق بفضل يوم الجمعة وشرفه وفضل ما يكون فيه من العبادات الواجبة والمستحبة، ومعها السور التي يستحب أن تقرأ في فجر يوم الجمعة، وفي ركعتي الجمعة الفريضة العظيمة التي تميزت عن بقية الفرائض بما لم يشرع في غيرها.

فأما السورتان اللتان يُقرأ بهما في فجر يوم الجمعة فهما سورة (الم السجدة) وسورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾.

وأما السور التي يستحب قراءتها في صلاة الجمعة فهي أربع:

- سورة الجمعة؛ ويقرأ بها في الركعة الأولىٰ.
- سورة المنافقين؛ ويقرأ بها في الركعة الثانية.
- وتارة يقرأ في الركعة الأولىٰ بسورة الأعلىٰ.
- وفي الركعة الثانية بالغاشية.

ولما كان لقراءة القرآن مع فهم معانيه مزيَّةٌ عظمىٰ، فقد رأيت أن أدوِّن تفسير كل سورة من هذه السور السبع مبتدئًا بسورة الفاتحة؛ لعظم شأنها،

وجلالة قدرها، وعظم ما تضمنته من المعاني والفوائد والأحكام، وكان الاختيار في تفسير هذه السور هو كتاب «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، والله الكريم أسأل التوفيق والسداد والهدىٰ والرشاد إنه خير مسؤول، وأعظم مأمول.

وقبل الدخول في تفسير السور ينبغي التذكير بمعنىٰ الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وبيان حكمها، مع ذكر بعض النصوص الواردة في فضائل سورة الفاتحة.

فأقول: معنىٰ الاستعاذة: هو ما ذكره أهل العلم بقولهم: هي الالتجاء إلىٰ الله من شرِّ كل ذي شرٍّ، والعياذة تكون لدفع الشرِّ. واللياذ يكون لطلب الخير ؛ كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذره

ومعنىٰ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»: أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم ألا يضرَّني في ديني ودنياي، أو يصدَّني عن فعل ما أُمرت به، أو يحثَّني علىٰ فعل ما نُهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفُّه عن الإنسان إلا الله. ولهذا أمر الله بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليردَّه طبعُه عما هو فيه من الأذىٰ.

وأمر الاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رشوة، ولا يؤثِّر به جميل ؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفُّه عنك إلا الذي خلقك.

وتستحب الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا

قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١]، كما تستحب في الصلاة.

الشيطان: من شطُن، أي بَعُد؛ لأنه بعيد عن كل خير.

الرجيم: المطرود من رحمة الله.

*** ومن فضائل سورة الفاتحة:**

روى الإمام أحمد ابن حنبل في مسنده عن أبي سعيد بن المعلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ حَتَّى صَلَّيْتُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي.

قَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[٢]. ثُمَّ قَالَ: «**لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**».

قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ قُلْتَ لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ.

قَالَ: «**نَعَمْ. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[٣]. ورواه البخاري[٤].

---

(١) (النحل:٩٨).

(٢) (الأنفال:٢٤).

(٣) مسند أحمد (٤/ ٢١١).

(٤) رواه في التفسير: باب مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، حديث (٤٤٧٤). وفي باب: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾، حديث (٤٦٤٧)، وفي باب قَوْلِه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ حديث (٤٧٠٣). وفي كتاب فضائل القرآن: باب فَضْلِ

تفسير الفاتحة
وهي مكية

[١-٧]: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ أي: أبتدئ بكل اسم لله تعالىٰ، لأن لفظ (اسم) مفرد مضاف، فيعمَّ جميع الأسماء الحسنىٰ.

﴿اللَّهِ﴾ هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده بالعبادة؛ لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال. ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالان علىٰ أنه تعالىٰ ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمَّت كل حيٍّ، وكتبها للمتقين المتبِّعين لأنبيائه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها الإيمانُ بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات.

فيؤمنون -مثلًا- بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها،

فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، حديث (٥٠٠٦).

المتعلِّقة بالمرحوم. فالنعم كلها أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء. قدير: ذو قدرة يقدر علىٰ كل شيء.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو الثناء علىٰ الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل، بجميع الوجوه. ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الرب: هو المربِّي جميع العالمين - وهم مَن سوىٰ الله - بخلقه إياهم، وإعداده لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعم العظيمة، التي لو فقدوها لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة فمنه تعالىٰ.

وتربيته تعالىٰ لخلقه نوعان: عامة وخاصة.

فالعامة: هي خلقُه للمخلوقين، ورَزقهم، وهدايتهم لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

والخاصة: تربيته لأوليائه، فيربِّيهم بالإيمان، ويوفِّقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنىٰ هو السرُّ في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الربِّ؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلة تحت ربوبيته الخاصة.

فدلَّ قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ علىٰ انفراده بالخلق والتدبير، والنعم، وكمال غناه، وتمام فقر العالمين إليه بكل وجه واعتبار.

﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهىٰ، ويثيب ويعاقب، ويتصرَّف بمماليكه بجميع أنواع

التصرُّفات، وأضاف الملك ليوم الدين وهو يوم القيامة، يوم يُدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها؛ لأن في ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الظهور كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتىٰ إنه يستوي في ذلك اليوم الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.

كلهم مذعنون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصَّه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام.

وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخصُّك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، ولا نستعين بغيرك.

وقدَّم العبادة علىٰ الاستعانة من باب تقديم العام علىٰ الخاص، واهتمامًا بتقديم حقِّه تعالىٰ علىٰ حقِّ عبده.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

والاستعانة: هي الاعتماد علىٰ الله تعالىٰ في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك.

والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلىٰ النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة إذا كانت مأخوذة عن رسول الله ﷺ مقصودًا بها وجه الله؛ فبهذين

الأمرين تكون عبادة، وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلىٰ الاستعانة بالله تعالىٰ؛ فإنه إن لم يعنه الله لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: دُلَّنا وأرشدنا، ووفِّقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلىٰ الله، وإلىٰ جنته، وهو معرفة الحق والعمل به؛ فاهدنا إلىٰ الصراط، واهدنا في الصراط: فالهداية إلىٰ الصراط: لزومُ دين الإسلام، وتركُ ما سواه من الأديان، والهدايةُ في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علمًا وعملًا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد، ولهذا وجب علىٰ الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته؛ لضرورته إلىٰ ذلك.

وهذا الصراط المستقيم هو: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين. ﴿غَيْرِ﴾ صراط ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين عرفوا الحق وتركوه كاليهود ونحوهم. وغير صراط ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ الذين تركوا الحق علىٰ جهل وضلال، كالنصارىٰ ونحوهم.

فهذه السورة -علىٰ إيجازها- قد احتوت علىٰ ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالىٰ، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه،

وقد دل علىٰ ذلك لفظ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ كما تقدم.

وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة.

وإثبات الجزاء علىٰ الأعمال في قوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ وأن الجزاء يكون بالعدل؛ لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة، خلافًا للقدرية والجبرية. بل تضمنت الرد علىٰ جميع أهل البدع والضلال في قوله: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين لله تعالىٰ عبادةً واستعانةً في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾، فالحمد لله رب العالمين.

تفسير سورة السجدة وهي مكية

[١-٣]: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

يخبر تعالىٰ أن هذا الكتاب الكريم أنه تنزيل من رب العالمين، الذي ربَّاهم بنعمته.

ومن أعظم ما ربَّاهم به هذا الكتاب؛ الذي فيه كل ما يُصلح أحوالهم، ويُتمِّم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه، ولا شكَّ، ولا امتراءَ، ومع ذلك قال المكذِّبون للرسول الظالمون في ذلك: افتراه محمد، واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة علىٰ إنكار كلام الله، ورميِ محمد ﷺ بأعظم الكذب، وقدرة الخلق علىٰ كلام مثل كلام الخالق.

وكل واحد من هذه من الأمور العظائم قال الله - رادًّا علىٰ من قال: افتراه: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أنزله رحمة للعباد ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: في حالة ضرورة وفاقة لإرسال الرسول، وإنزال الكتاب، لعدم النذير، بل هم في جهلهم يعمهون، وفي ظلمة ضلالهم يترددون، فأنزلنا الكتاب عليك ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ من ضلالهم،

فيعرفون الحق فيؤثرونه.

وهذه الأشياء التي ذكرها الله كلُّها مناقضة لتكذيبهم له، وإنها تقتضي منهم الإيمان والتصديق التام به، وهو كونه ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأنه ﴿ٱلْحَقُّ﴾ والحق مقبول علىٰ كل حال، وأنه ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بوجه من الوجوه، فليس فيه ما يوجب الريبة، لا بخبر لا يطابق للواقع، ولا بخفاء واشتباه معانيه، وأنهم في ضرورة وحاجة إلىٰ الرسالة، وأن فيه الهداية لكل خير وإحسان.

[٤ - ٩]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

يخبر تعالىٰ عن كمال قدرته بخلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها الجمعة، مع قدرته علىٰ خلقها بلحظة، ولكنه تعالىٰ رفيق حكيم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الذي هو سقف المخلوقات استواءً يليق بجلاله.

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾ يتولاكم في أموركم فينفعكم، ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يشفع لكم إن توجه عليكم العقاب.

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فتعلمون أن خالق الأرض والسموات، المستوي علىٰ العرش العظيم، الذي انفرد بتدبيركم، وتوليكم، وله الشفاعة كلها هو المستحق لجميع أنواع العبادة.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ القدري والأمر الشرعي، الجميع هو المتفرد بتدبيره، نازلةٌ تلك التدابير من عند المليك القدير ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ فَيُسْعِدُ بها ويُشْقِي، ويُغْنِي ويُفْقِرُ، ويُعِزُّ، ويُذِلُّ، ويُكرِمُ، ويُهِينُ، ويرفع أقوامًا، ويضع آخرين، ويُنزِّل الأرزاق.

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: الأمر ينزل من عنده، ويعرج إليه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو يعرج إليه ويصله في لحظة.

﴿ذَلِكَ﴾ الذي خلق تلك المخلوقات العظيمة، الذي استوىٰ علىٰ العرش العظيم، وانفرد بالتدابير في المملكة، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ فبسعة علمه، وكمال عزته، وعموم رحمته أوجدها، وأودع فيها من المنافع ما أودع، ولم يعسر عليه تدبيرُها.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ أي: كل مخلوق خلقه الله؛ فإن اللّه أحسن خلقه، وخلقه خلقًا يليق به، ويوافقه؛ فهذا عام، ثم خص الآدمي لشرفه وفضله فقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ وذلك بخلق آدم عليه السلام أبي البشر.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ أي: ذرية آدم ناشئة ﴿مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ وهو النطفة المستقذرة الضعيفة.

﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ بلحمه، وأعضائه، وأعصابه، وعروقه، وأحسن خلقته،

ووضع كل عضو منه بالمحل الذي لا يليق به غيره، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ بأن أرسل إليه الملك، فينفخ فيه الروح، فيعود بإذن الله حيوانًا، بعد أن كان جمادًا.

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: ما زال يعطيكم من المنافع شيئًا فشيئًا، حتىٰ أعطاكم السمع والأبصار ﴿وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الذي خلقكم وصوركم.

[١٠ - ١١] ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾

أي: قال المكذبون بالبعث علىٰ وجه الاستبعاد: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بَلِينَا وتمزَّقنا وتفرقنا في المواضع التي لا تُعْلَمُ.

﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ أي: لمبعوثون بعثًا جديدًا بزعمهم أن هذا من أبعد الأشياء، وذلك لقياسهم قدرة الخالق بقدرهم. وكلامهم هذا ليس لطلب الحقيقة، وإنما هو ظلم، وعناد، وكفر بلقاء ربِّهم وجحد، ولهذا قال: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ فكلامهم عُلم مصدره وغايته، وإلا فلو كان قصدهم بيان الحق لَبَيَّنَ لهم من الأدلة القاطعة علىٰ ذلك ما يجعله مشاهدًا للبصيرة، بمنزلة الشمس للبصر.

ويكفيهم أنهم معهم علمٌ أنهم قد ابتدئوا من العدم، فالإعادة أسهل من الابتداء، وكذلك الأرض الميتة ينزل الله عليها المطر، فتحيا بعد موتها، وينبت به متفرق بذورها.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: جعله الله وكيلًا علىٰ قبض

الأرواح، وله أعوان. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم، وقد أنكرتم البعث، فانظروا ماذا يفعل الله بكم.

[١٢ - ١٤]: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

لمَّا ذكر تعالىٰ رجوعهم إليه يوم القيامة، ذكر حالهم في مقامهم بين يديه، فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الذين أصرُّوا علىٰ الذنوب العظيمة، ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خاشعين خاضعين أذلاء، مُقرِّين بجرمهم، سائلين الرجعة قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ أي: بان لنا الأمر ورأيناه عيانًا، فصار عين يقين.

﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ أي: صار عندنا الآن يقين بما كنا نكذب به؛ أي: لرأيت أمرًا فظيعًا، وحالًا مزعجة، وأقوامًا خاسرين، وسؤلًا غير مجاب؛ لأنه قد مضىٰ وقت الإمهال. وكلُّ هذا بقضاء الله وقدره؛ حيث خلَّىٰ بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلهذا قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ أي: لهدينا الناس كلهم، وجمعناهم علىٰ الهدىٰ، فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة تأبىٰ أن يكونوا كلهم علىٰ الهدىٰ، ولهذا قال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ أي: وجب، وثبت ثبوتًا لا تغيُّر فيه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾؛ فهذا الوعد لابدَّ منه، ولا محيد عنه، فلابدَّ من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي.

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: يقال للمجرمين الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلىٰ الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم: قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك، أي: بما أعرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقيه.

﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ أي: تركناكم بالعذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نَسِيتُمْ نُسِيتُمْ، ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: العذاب غير المنقطع؛ فإن العذاب إذا كان له أجل وغاية كان فيه بعضُ التنفيس والتخفيف، وأما عذاب جهنم - أعاذنا الله منه - فليس فيه روح راحة، ولا انقطاع لعذابهم فيها. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والفسوق والمعاصي.

[١٥- ١٧]: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

لما ذكر تعالىٰ الكافرين بآياته، وما أعدَّ لهم من العذاب، ذكر المؤمنين بها، ووصفهم، وما أعد لهم من الثواب، فقال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ أي إيمانًا حقيقيًّا، من يوجد منه شواهد الإيمان، وهم: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ بآيات ربهم فتليت عليهم آيات القرآن، وأتتهم النصائح علىٰ أيدي رسل الله، ودُعُوا إلىٰ التذكر، سمعوها فقبلوها، وانقادوا، و﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ أي: خاضعين لها، خضوع ذكر لله، وفرح بمعرفته، ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا بقلوبهم، ولا بأبدانهم، فيمتنعون من الانقياد

لها، بل متواضعون لها، قد تلقَّوها بالقبول والتسليم، وقابلوها بالانشراح والتسليم، وتوصَّلوا بها إلىٰ مرضاة الرب الرحيم، واهتدوا بها إلىٰ الصراط المستقيم.

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلىٰ ما هو ألذ عندهم منه وأحب إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالىٰ.

ولهذا قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾ أي: في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ودفع مضارِّهما ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أي: جامعين بين الوصفين، خوفًا أن تُردَّ أعمالهم، وطمعًا في قبولها، خوفًا من عذاب الله، وطمعًا في ثوابه.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ من الرزق، قليلًا كان أو كثيرًا ﴿يُنفِقُونَ ﴾ ولم يذكر قيد النفقة، ولا المنفق عليه؛ ليدل علىٰ العموم، فإنه يدخل فيه النفقة الواجبة كالزكوات، والكفَّارات، ونفقة الزوجات والأقارب، والنفقة المستحبَّة في وجوه الخير، والنفقة والإحسان المالي خيرٌ مطلقًا؛ سواء وافق غنيًّا أو فقيرًا، قريبًا أو بعيدًا، ولكن الأجر يتفاوت بتفاوت النفع، فهذا عملهم.

وأما جزاؤهم، فقال: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق؛ لكونها نكرة في سياق النفي. أي: فلا يعلم أحد ﴿مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من الخير الكثير، والنعيم الغزير، والفرح والسرور، واللذة والحبور، كما قال تعالىٰ علىٰ لسان رسوله: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق: باب في صفة الجنة، حديث (٣٢٤٤)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب (١)، حديث (٢٨٢٤)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فكما صلَّوا في الليل، ودعوا، وأخفوا العمل؛ جازاهم من جنس عملهم، فأخفىٰ أجرهم، ولهذا قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨-٢٠]: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

ينبِّه تعالىٰ العقول علىٰ ما تقرَّر فيها من عدم تساوي المتفاوتَين المتباينَين، وأن حكمته تقتضي عدم تساويهما، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا﴾ قد عمَّر قلبه بالإيمان، وانقادت جوارحه لشرائعه، واقتضىٰ إيمانه آثاره وموجباته، من ترك مساخط الله؛ التي يضرُّ وجودها بالإيمان، ﴿كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ قد خرب قلبه، وتعطَّل من الإيمان، فلم يكن فيه وازعٌ دينيٌّ، فأسرعت جوارحه بموجبات الجهل والظلم، من كل إثم ومعصية، وخرج بفسقه عن طاعة الله؛ أفيستوي هذان الشخصان؟ ﴿لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ عقلًا وشرعًا، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، وكذلك لا يستوي ثوابهما في الآخرة.

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من فروض ونوافل ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي: الجنات التي هي مأوىٰ اللذات، ومعدنُ الخيرات، ومحلُّ الأفراح، ونعيم القلوب والنفوس والأرواح، ومحلُّ الخلود، وجوار الملك المعبود، والتمتع بقربه، والنظر إلىٰ وجهه، وسماع خطابه.

﴿نُزُلًۢا﴾ لهم أي: ضيافة، وقِرًىٰ ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فأعمالهم التي تفضل الله بها عليهم هي التي أوصلتهم لتلك المنازل الغالية العالية، التي

لا يمكن التوصل إليها ببذل الأموال، ولا بالجنود والخدم، ولا بالأولاد، بل ولا بالنفوس والأرواح، ولا يتقرب إليها بشيء أصلًا، سوىٰ الإيمان والعمل الصالح.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ أي: مقرُّهم ومحلُّ خلودهم النار التي جمعت كلَّ عذاب وشقاء، ولا يُفَتَّرُ عنهم العقاب ساعة؛ ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا ﴾ فكلما حدَّثتهم إرادتهم بالخروج، لبلوغ العذاب منهم كل مبلغ؛ ردُّوا إليها، فذهب عنهم روح ذلك الفرج، واشتد عليهم الكرب، ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ فهذا عذاب النار؛ الذي يكون فيه مقرُّهم ومأواهم، وأما العذاب الذي قبل ذلك ومقدمة له وهو عذاب البرزخ؛ فقد ذكر بقوله:

[٢١]: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي: ولنذيقن الفاسقين المكذِّبين نموذجًا من العذاب الأدنىٰ، وهو عذاب البرزخ، فنذيقهم طرفًا منه قبل أن يموتوا؛ إما بعذاب بالقتل ونحوه، كما جرىٰ لأهل بدر من المشركين، وإما عند الموت؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾ [الأنعام:٩٣]، ثم يكمل لهم العذاب الأدنىٰ في برزخهم.

وهذه الآية من الأدلة علىٰ إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة؛ فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ أي: بعضٌ وجزء منه، فدل علىٰ أن ثَمَّ عذابًا أدنىٰ قبل العذاب الأكبر؛ وهو عذاب النار.

ولما كانت الإذاقة من العذاب الأدنىٰ في الدنيا قد لا يتصل بها الموت؛

فأخبر تعالىٰ أنه يذيقهم ذلك لعلهم يرجعون إليه ويتوبون من ذنوبهم كما قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

[٢٢] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ أي: لا أحد أظلم، وأزيد تعديًا ممَّن ذُكِّر بآيات ربه، التي أوصلها إليه ربه، الذي يريد تربيته، وتكميل نعمته علىٰ أيدي رسله، تأمره، وتذكِّره مصالحه الدينية والدنيوية، وتنهاه عن مضارِّه الدينية والدنيوية، التي تقتضي أن يقابلها بالإيمان والتسليم، والانقياد والشكر، فقابلها هذا الظالم بضدِّ ما ينبغي؛ فلم يؤمن بها، ولا اتبعها، بل أعرض عنها وتركها وراء ظهره، فهذا من أكبر المجرمين؛ الذين يستحقون شديد النقمة، ولهذا قال: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾.

[٢٣- ٢٥]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

لمَّا ذكر تعالىٰ آياته التي ذكَّر بها عباده؛ وهو: القرآن الذي أنزله علىٰ محمد ﷺ ذكر أنه ليس ببدع من الكتب، ولا من جاء به، بغريب من الرسل، فقد آتىٰ الله موسىٰ الكتاب الذي هو

التوراة المصدِّقة للقرآن؛ التي قد صدَّقها القرآن، فتطابق حقُّهما، وثبت برهانهما، ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾؛ لأنه قد تواردت أدلة الحق وبيِّناتُه، فلم يبق للشك والمرية محل.

﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الكتاب الذي آتيناه موسىٰ ﴿هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يهتدون به في أصول دينهم وفروعه وشرائعه موافقة لذلك الزمان في بني إسرائيل.

وأما هذا القرآن الكريم فجعله الله هداية للناس كلهم؛ لأنه هداية للخلق في أمر دينهم ودنياهم إلىٰ يوم القيامة؛ وذلك لكماله وعلوِّه ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف:٤].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من بني إسرائيل ﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: علماء بالشرع، وطرق الهداية، مهتدين في أنفسهم، يهدون غيرهم بذلك الهدىٰ، فالكتاب الذي أنزل إليهم هدىٰ، والمؤمنون به منهم علىٰ قسمين: أئمة يهدون بأمر الله، وأتباع مهتدون بهم.

والقسم الأول أرفع الدرجات بعد درجة النبوة والرسالة، وهي درجة الصدِّيقين، وإنما نالوا هذه الدرجة العالية بالصبر علىٰ التعلُّم والتعليم، والدعوة إلىٰ الله، والأذىٰ في سبيله، وكفُّوا أنفسهم عن جماحها في المعاصي، واسترسالها في الشهوات.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ أي: وصلوا في الإيمان بآيات الله إلىٰ درجة اليقين، وهو العلم التام الموجب للعمل، وإنما وصلوا إلىٰ درجة اليقين؛ لأنهم تعلَّموا تعلُّمًا صحيحًا، وأخذوا المسائل عن أدلَّتها المفيدة لليقين، فما زالوا يتعلَّمون المسائل، ويستدلُّون عليها بكثرة الدلائل، حتىٰ وصلوا لذاك، فبالصبر واليقين تُنَالُ الإمامة في الدين.

وثَمَّ مسائل اختلف فيها بنو إسرائيل؛ منهم من أصاب فيها الحق، ومنهم من أخطأه خطأ أو عمدًا، والله تعالىٰ ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا

﴿كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، وهذا القرآن يقصُّ علىٰ بني إسرائيل بعض الذي يختلفون فيه، فكل خلاف وقع بينهم، ووجد في القرآن تصديق لأحد القولين فهو الحق، وما عداه مما خالفه باطل.

[٢٦ - ٢٧]: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

يعني: أولم يتبيَّن لهؤلاء المكذِّبين للرسول، ويهدهم إلىٰ الصواب ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ الذين سلكوا مسلكهم، ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ﴾ فيشاهدونها عيانًا؛ كقوم هود وصالح، وقوم لوط.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ﴾ يُستدلُّ بها علىٰ صدق الرسل التي جاءتهم، وبطلان ما هم عليه من الشرك والشرِّ، وعلىٰ أن من فعل مثل فعلهم فُعِلَ بهم كما فُعِلَ بأشياعه من قبل. وعلىٰ أن الله تعالىٰ مجازي العباد، وباعثهم للحشر والتناد. ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ آيات الله فيعونها، فينتفعون بها، فلو كان لهم سمع صحيح، وعقل رجيح، لم يقيموا علىٰ حالة يجزم بها بالهلاك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بأبصارهم نعمتنا، وكمال حكمتنا ﴿أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ التي لا نبات فيها، فيسوق الله المطر؛ الذي لم يكن قبلُ موجودًا فيها، فيفرغه فيها من السحاب، أو من الأنهار ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ أي: نباتًا مختلف الأنواع ﴿تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ﴾ وهو نبات البهائم، ﴿وَأَنفُسُهُمْ ۖ﴾ وهو طعام الآدميين.

﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ تلك المنَّة؛ التي أحيا الله بها البلاد والعباد، فيستبصرون فيهتدون بذلك البصر وتلك البصيرة إلىٰ الصراط المستقيم، ولكن غلب

عليهم العمىٰ، واستولت عليهم الغفلة، فلم يبصروا في ذلك بصر الرجال، وإنما نظروا إلىٰ ذلك نظر الغفلة، ومجرد العادة، فلم يوفَّقوا للخير.

[٢٨ - ٣٠]: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾.

أي: يستعجل المجرمون بالعذاب؛ الذي وعدوا به علىٰ التكذيب، جهلًا منهم ومعاندة، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ الذي يفتح بيننا وبينكم بتعذيبنا علىٰ زعمكم ﴿إِن كُنتُمْ﴾ أيها الرسل ﴿صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم؟! ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ الذي يحصل به عقابكم لا تستفيدون به شيئًا، فلو كان إذا حصل حصل إمهالكم، لتستدركوا ما فاتكم، حين صار الأمر عندكم يقينًا؛ لكان لذلك وجه، ولكن إذا جاء يوم الفتح انقضىٰ الأمر، ولم يبق للمحنة محل فـ ﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾؛ لأنه صار إيمان ضرورة، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي: يمهلون، فيؤخر عنهم العذاب، فيستدركون أمرهم.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لما وصل خطابهم إلىٰ حالة الجهل، واستعجال العذاب. ﴿وَٱنتَظِرْ﴾ الأمر الذي يحِلُّ بهم؛ فإنه لابدَّ منه، ولكن له أجل إذا جاء لا يتقدَّم ولا يتأخر. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بك ريب المنون، ومتربِّصون بكم دوائر السوء، والعاقبةُ للتقوىٰ.

تم تفسير سورة السجدة، بحول الله ومنَّه، فله تعالىٰ كمال الحمد والثناء والمجد.

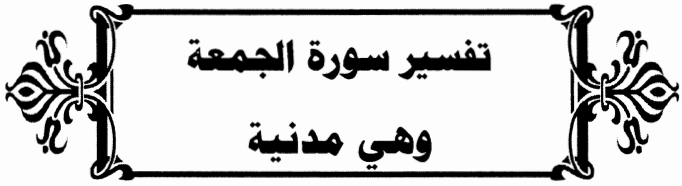

[١]: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾؛ أي: يسبِّح لله، وينقاد لأمره، ويتألهه، ويعبده جميعُ ما في السموات والأرض؛ لأنه الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع مماليكه، وتحت تدبيره، ﴿الْقُدُّوسِ﴾ المعظَّم، المنزَّه عن كل آفة ونقص، ﴿الْعَزِيزِ﴾ القاهر للأشياء كلها، ﴿الْحَكِيمِ﴾ في خلقه وأمره؛ فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له.

[٢-٤]: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

المراد بالأمِّيِّين: الذين لا كتاب عندهم، ولا أثر رسالة من العرب وغيرهم، ممن ليسوا من أهل الكتاب، فامتنَّ الله تعالىٰ عليهم منَّةً عظيمة، أعظم من منَّته علىٰ غيرهم؛ لأنهم عادمون للعلم والخير، وكانوا في ضلال مبين يتعبَّدون للأشجار والأصنام والأحجار، ويتخلَّقون بأخلاق السباع الضارية، يأكل قويُّهم ضعيفَهم، وقد كانوا في غاية الجهل بعلوم الأنبياء،

فبعث الله فيهم رسولًا منهم، يعرفون نسبه، وأوصافه الجميلة وصدقه، وأنزل عليه كتابه ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القاطعة الموجبة للإيمان واليقين، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بأن يحثَّهم علىٰ الأخلاق الفاضلة، ويفصِّلها لهم، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: علم القرآن وعلم السنة، المشتمل ذلك علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية منه أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقًا، وأحسنهم هديًا وسمتًا، اهتدوا بأنفسهم، وهدوا غيرهم، فصاروا أئمة المهتدين، وهداة المؤمنين، فلله عليهم ببعثه هذا الرسول ﷺ أكمل نعمة، وأجل منحة. وقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ أي:

وامتن علىٰ آخرين من غيرهم أي: من غير الأميين، ممن يأتي بعدهم، ومن أهل الكتاب، ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ أي: فيمن باشر دعوة الرسول، ويحتمل أنهم لمَّا يلحقوا بهم في الفضل، ويحتمل أن يكونوا لما يلحقوا بهم في الزمان، وعلىٰ كل؛ فكلا المعنيين صحيح؛ فإن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته حصل لهم من الخصائص والفضائل ما لا يمكن أحدًا أن يلحقهم فيها، وهذا من عزَّته وحكمته؛ حيث لم يترك عباده هملًا ولا سدًى، بل ابتعث فيهم الرسل، وأمرهم ونهاهم، وذلك من فضل الله العظيم الذي يؤتيه من يشاء من عباده، وهو أفضل من نعمته عليهم بعافية البدن وسعة الرزق، وغير ذلك من النعم الدنيوية، فلا أعظم من نعمة الدين التي هي مادة الفوز والسعادة الأبدية.

[٥ - ٨]: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

لما ذكر تعالىٰ منَّته علىٰ هذه الأمة الذين ابتعث فيهم النبيَّ الأُمِّيَّ، وما خصَّهم الله به من المزايا والمناقب، التي لا يلحقهم فيها أحد وهم الأمة الأمِّيَّة الذين فاقوا الأوَّلين والآخرين، حتىٰ أهل الكتاب الذين يزعمون أنهم العلماء الربانيُّون والأحبار المتقدِّمون، ذكر أن الذين حمَّلهم الله التوراة من اليهود وكذا النصارىٰ، وأمرهم أن يتعلَّموها، ويعملوا بما فيها، وإنهم لم يحملوها ولم يقوموا بما حمِّلوا به أنهم لا فضيلة لهم، وأن مثلهم كمثل الحمار الذي يحمل فوق ظهره أسفارًا من كتب العلم، فهل يستفيد ذلك الحمار من تلك الكتب التي فوق ظهره؟ وهل يلحق به فضيلة بسبب ذلك؟ أم حظُّه منها حملها فقط؟ فهذا مثل علماء اليهود الذين لم يعملوا بما في التوراة، الذي من أجلِّه وأعظمه الأمر باتباع محمد ﷺ والبشارة به، والإيمان بما جاء به من القرآن، فهل استفاد من هذا وصفُه من التوراة إلا الخيبةُ والخسران، وإقامة الحجة عليه؟ فهذا المثل مطابق لأحوالهم.

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الدالة علىٰ صدق رسولنا، وصدق ما جاء به. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا يرشدهم إلىٰ مصالحهم ما دام الظلم لهم وصفًا، والعناد لهم نعتًا، ومن ظلم اليهود وعنادهم أنهم يعلمون أنهم علىٰ باطل، ويزعمون أنهم علىٰ حق، وأنهم أولياء الله من دون الناس. ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لهم:

إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم علىٰ الحق، وأولياء الله: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ﴾ وهذا أمر خفيف؛ فإنهم لو علموا أنهم علىٰ حق لما توقفوا عن هذا التحدِّي الذي جعله الله دليلًا علىٰ صدقهم إن تمنَّوه، وكذبهم إن لم يتمنوه، ولمَّا لم يقع منهم مع الإعلان لهم بذلك عُلم أنهم عالمون ببطلان ما هم عليه وفساده؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي من الذنوب والمعاصي؛ التي يستوحشون من الموت من أجلها، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلا يمكن أن يخفىٰ عليه من ظلمهم شيء، هذا وإن كانوا لا يتمنون الموت بما قدمت أيديهم، ويفرُّون منه غاية الفرار؛ فإن ذلك لا ينجيهم، بل لابدَّ أن يلاقيهم الموت الذي قد حتمه الله علىٰ العباد وكتبه عليهم، ثم بعد الموت واستكمال الآجال يُردُّ الخلق كلُّهم يوم القيامة إلىٰ عالم الغيب والشهادة، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشرٍّ، قليل وكثير.

[٩ـ ١١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة والمبادرة إليها من حين ينادىٰ لها، والسعي إليها، والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها، وجعلها أهم الأشغال، لا العدو الذي قد نهي عنه عند المضي إلىٰ الصلاة، وقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي: اتركوا البيع، إذا نودي للصلاة، وامضوا إليها؛ فإن ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من اشتغالكم بالبيع،

وتفويتكم الصلاة الفريضة؛ التي هي من آكد الفروض. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن ما عند الله خير وأبقىٰ، وأن من آثر الدنيا علىٰ الدين؛ فقد خسر الخسارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح. وهذا الأمر بترك البيع مؤقت مدة الصلاة، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا۟ فِى الْأَرْضِ﴾ لطلب المكاسب والتجارات، ولما كان الاشتغال في التجارة مظنة الغفلة عن ذكر الله أمر الله بالإكثار من ذكره، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا۟ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي في حال قيامكم وقعودكم وعلىٰ جنوبكم، ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فإن الإكثار من ذكر الله أكبر أسباب الفلاح.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ أي: خرجوا من المسجد، حرصًا علىٰ ذلك اللهو، وتلك التجارة، وتركوا الخير، ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ تخطب الناس، وذلك في يوم جمعة، بينما النبيُّ ﷺ يخطب النَّاس، إذ قدم المدينة، عِيرٌ تحمل تجارة، فلما سمع الناس بها، وهم في المسجد، انفضوا من المسجد، وتركوا النبيَّ ﷺ يخطب استعجالًا لما لا ينبغي أن يُستعجل له، وترك أدب، ﴿قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ﴾ من الأجر والثواب، لمن لازم الخير، وصبر نفسه علىٰ عبادة الله ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَٰرَةِ﴾ التي وإن حصل منها بعض المقاصد، فإن ذلك قليل منغص، مفوِّت لخير الآخرة، وليس الصبر علىٰ طاعة الله مفوِّتًا للرزق؛ فإن الله خير الرازقين، فمن اتقىٰ الله رزقه من حيث لا يحتسب.

وفي هذه الآيات فوائدُ عديدة:

منها: أن الجمعة فريضة علىٰ جميع المؤمنين، يجب عليهم السعي لها، والمبادرة والاهتمام بشأنها.

ومنها: أن الخطبتين يوم الجمعة فريضتان يجب حضورهما؛ لأنه

فسّر الذكر هنا بالخطبتين، فأمر الله بالمضيِّ إليه والسعي له.

ومنها: مشروعية النداء ليوم الجمعة، والأمر به.

ومنها: النهيُ عن البيع والشراء بعد نداء الجمعة، وتحريم ذلك، وما ذاك إلا لأنه يفوِّت الواجب ويُشغل عنه، فدلَّ ذلك علىٰ أن كل أمر ولو كان مباحًا في الأصل، إذا كان ينشأ عنه تفويت واجب؛ فإنه لا يجوز في تلك الحال.

ومنها: الأمر بحضور الخطبتين يوم الجمعة، وذمُّ من لم يحضرهما، ومن لازم ذلك الإنصاتُ لهما.

ومنها: أنه ينبغي للعبد المقبل علىٰ عبادة الله وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات والشهوات أن يذكِّرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثر رضاه علىٰ هواه.

تم تفسير سورة الجمعة، ولله الحمد والثناء.

تفسير سورة المنافقون وهي سورة مدنية

[١ - ٦]: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

لمَّا قدم النبيُّ ﷺ المدينة، وكثر المسلمون في المدينة واعتزَّ الإسلام بها، صار أناس من أهلها من الأوس والخزرج يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر؛ ليبقىٰ جاههم، وتُحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فذكر الله من أوصافهم ما به يعرفون؛ لكي يحذر العباد منهم، ويكونوا منهم علىٰ بصيرة، فقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟﴾ علىٰ وجه الكذب: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ﴾ وهذه الشهادة من المنافقين علىٰ وجه الكذب والنفاق، مع أنه لا حاجة لشهادتهم في تأييد رسوله، فإن ﴿يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولهم ودعواهم، وأن ذلك ليس بحقيقة منهم؛

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ أي: تُرسًا يتترسون بها من نسبتهم إلىٰ النفاق.

﴿فَصَدُّواْ عَن﴾ سبيله بأنفسهم، وصدُّوا غيرهم ممن يخفىٰ عليه حالُهم، ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، وأقسموا علىٰ ذلك، وأوهموا صدقهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي زيَّن لهم النفاق ﴿بِـ﴾ سبب ﴿أَنَّهُمۡ﴾ لا يثبتون علىٰ الإيمان؛ بل ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بحيث لا يدخلها الخير أبدًا، ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ ما ينفعهم، ولا يعون ما يعود بمصالحهم.

﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ من روائها ونضارتها، ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ أي: من حسن منطقهم تستلذ لاستماعه، فأجسامهم وأقوالهم معجبة، ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدىٰ الصالح شيء، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾ لا منفعة فيها، ولا ينال منها إلا الضرر المحض، ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾؛ وذلك لجبنهم وفزعهم وضعف قلوبهم، والريب الذي في قلوبهم يخافون أن يطلع عليهم. فهؤلاء ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ علىٰ الحقيقة؛ لأن العدو البارز المتميِّز أهون من العدوِّ الذي لا يُشعر به، وهو مخادع ماكر، يزعم أنه وليٌّ، وهو العدو المبين، ﴿فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ أي: كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبيَّنت أدلته، واتَّضحت معالمه، إلىٰ الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار والشقاء.

﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لهؤلاء المنافقين ﴿تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ عما صدر منكم؛ لتحسن أحوالكم، وتقبل أعمالكم، امتنعوا من ذلك أشد الامتناع، و﴿لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ امتناعًا من طلب الدعاء من الرسول، ﴿وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ عن الحق بغضًا له ﴿وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾ عن اتباعه بغيًا وعنادًا، فهذه حالهم

عندما يُدعون إلىٰ طلب الدعاء من الرسول، وهذا من لطف الله وكرامته لرسوله، حيث لم يأتوا إليه، فيستغفر لهم، فإنه سواء استغفر لهم أم لم يستغفر لهم فلن يغفر الله لهم، وذلك لأنهم قوم فاسقون، خارجون عن طاعة الله، مؤثرون للكفر علىٰ الإيمان، فلذلك لا ينفع فيهم استغفار الرسول لو استغفر لهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

[٧- ٨]: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا من شدة عداوتهم للنبيِّ ﷺ والمسلمين، لمَّا رأوا اجتماع أصحابه وائتلافهم، ومسارعتهم في مرضاة الرسول ﷺ قالوا بزعمهم الفاسد: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ فإنهم -بزعمهم- لولا أموال المنافقين ونفقاتهم عليهم لما اجتمعوا في نصرة دين الله، وهذا من أعجب العجب! أن يدَّعيَ هؤلاء المنافقون الذين هم أحرص الناس علىٰ خذلان الدين، وأذية المسلمين مثل هذه الدعوىٰ؛ التي لا تروج إلا علىٰ من لا علم له بحقائق الأمور، ولهذا قال الله ردًّا لقولهم: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فيؤتي الرزق من يشاء، ويمنعه من يشاء، وييسِّر الأسباب لمن يشاء، ويعسِّرها علىٰ من يشاء، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾، فلذلك قالوا تلك المقالة، التي مضمونها أن خزائن الرزق في أيديهم، وتحت مشيئتهم.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ وذلك في غزوة المريسيع، حين صار بين بعض المهاجرين والأنصار بعض كلام كدَّر الخواطر، ظهر حينئذ نفاق المنافقين، وأظهروا ما في نفوسهم، وقال كبيرهم عبد الله بن أُبي ابن سلول: (ما مثلنا ومثل هؤلاء - يعني المهاجرين إلا كما قال القائل: «غَذِّ كلبك يأكلك»). وقال: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ بزعمه أنه هو وإخوانه من المنافقين الأعزُّون، وأن رسول الله ومن معه هم الأذلُّون، والأمر بعكس ما قال هذا المنافق، فلهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهم الأعزاء، والمنافقون وإخوانهم من الكفار هم الأذلاء. ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك زعموا أنهم الأعزاء، اغترارًا بما هم عليه من الباطل.

ثم قال تعالىٰ:

[٩- ١١]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يأمر تعالىٰ عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره؛ فإن في ذلك الربح والفلاح، والخيرات الكثيرة، وينهاهم أن تشغلهم أموالهم وأولادهم عن ذكره، فإن محبة المال والأولاد مجبولة عليها أكثر النفوس، فتقدِّمُها علىٰ محبة الله، وفي ذلك الخسارة العظيمة، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: يلهه ماله وولده،عن ذكر الله ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

للسعادة الأبدية، والنعيم المقيم؛ لأنهم آثروا ما يفنىٰ علىٰ ما يبقىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥].

وقوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ يدخل في هذا النفقات الواجبة؛ من الزكاة، والكفارات، ونفقة الزوجات والمماليك، ونحو ذلك، والنفقات المستحبة؛ كبذل المال في جميع المصالح، وقال: ﴿مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ ليدلَّ ذلك علىٰ أنه تعالىٰ لم يكلِّف العباد من النفقة ما يعنتهم ويشق عليهم، بل أمرهم بإخراج جزء مما رزقهم الله الذي يسَّره لهم ويسَّر لهم أسبابه. فليشكروا الذي أعطاهم بمواساة إخوانهم المحتاجين، وليبادروا بذلك،الموت الذي إذا جاء لم يمكن العبد أن يأتي بمثقال ذرة من الخير، ولهذا قال: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ﴾ متحسِّرًا علىٰ ما فرَّط في وقت الإمكان، سائلًا الرجعة التي هي محال: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لأتدارك ما فرَّطت فيه، ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ من مالي، ما به أنجو من العذاب، وأستحق به جزيل الثواب، ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بأداء المأمورات كلها، واجتناب المنهيات، ويدخل في هذا الحج وغيره، وهذا السؤال والتمني قد فات وقته، ولا يمكن تداركه، ولهذا قال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ﴾ المحتوم لها، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير وشر، فيجازيكم علىٰ ما علمه منكم من النيات والأعمال.

تم تفسير سورة المنافقين، ولله الحمد.

تفسير سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ وهي مكية

[١ - ٣]: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

ذكر الله في هذه السورة الكريمة أوَّل حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها؛ فذكر أنه مر عليه دهر طويل -وهو الذي قبل وجوده- وهو معدوم، بل ليس مذكورًا. ثم لما أراد الله تعالىٰ خلقه خلق أباه آدم من طين، ثم جعل نسله متسلسلًا ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي: ماء مهين مستقذر، ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ بذلك لنعلم هل يرىٰ حاله الأولىٰ ويتفطن لها أم ينساها وتغرُّه نفسه؟

فأنشأه الله، وخلق له القوىٰ الباطنة والظاهرة، كالسمع والبصر، وسائر الأعضاء، فأتمها له، وجعلها سالمة يتمكن بها من تحصيل مقاصده.

ثم أرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وهداه الطريق الموصلة إلىٰ الله، ورغَّبه فيها، وأخبره بما له عند الوصول إلىٰ الله. ثم أخبره بالطريق الموصلة إلىٰ الهلاك، ورهَّبه منها، وأخبره بما له إذا سلكها، وابتلاه بذلك، فانقسم الناس إلىٰ شاكر لنعمة الله عليه، قائم بما حمَّله الله من حقوقه، وإلىٰ كفور لنعمة الله عليه، أنعم الله عليه بالنعم الدينية والدنيوية، فردَّها، وكفر

بربِّه، وسلك الطريق الموصلة إلىٰ الهلاك.

ثم ذكر تعالىٰ حال الفريقين عند الجزاء فقال:

[٤ - ٢٢]: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ إلىٰ آخر الثواب أي: إنَّا هيَّأنا وأرصدنا لمن كفر بالله، وكذَّب رسله، وتجرَّأ علىٰ المعاصي ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾ في نار جهنم، كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة:٣٢] . ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ تُغلُّ بها أيديهم إلىٰ أعناقهم ويوثقون بها، ﴿وَسَعِيرًا﴾ أي: نارًا تستعر بها أجسامهم، وتحرق بها أبدانهم، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، وهذا العذاب دائم لهم أبدًا، مخلَّدون فيه سرمدًا.

وأما ﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ وهم الذين برَّت قلوبهم بما فيها من محبَّة الله ومعرفته، والأخلاق الجميلة، فبرَّت جوارحهم، واستعملوها بأعمال البرِّ؛ أخبر أنهم ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: شراب لذيذ من خمر، قد مزج بكافور أي: خلط به ليبرده ويكسر حدَّته، وهذا الكافور في غاية اللذة، قد سلم من كل مكدِّر ومنغِّص موجود في كافور الدنيا؛ فإن الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنها في الجنة وهي في الدنيا تعدم في الآخرة ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٨-٢٩]، ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران:١٥]، ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام:١٢٧]، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ أي: ذلك الكأس اللذيذ الذي يشربون به لا يخافون نفاده، بل له مادة لا تنقطع، وهي عين دائمة الفيضان والجريان،

يفجِّرها عباد الله تفجيرًا أنَّىٰ شاءوا، وكيف أرادوا، فإن شاءوا صرفوها إلىٰ البساتين الزاهرات، أو إلىٰ الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلىٰ أي جهة يرونها من الجهات المونقات.

وقد ذكر جملةً من أعمالهم في أول هذه السورة، فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي: بما ألزموا به أنفسهم لله من النذور والمعاهدات، وإذا كانوا يوفون بالنذر وهو لم يجب عليهم، إلا بإيجابهم علىٰ أنفسهم؛ كان فعلهم وقيامهم بالفروض الأصلية من باب أولىٰ وأحرىٰ، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: منتشرًا فاشيًا، فخافوا أن ينالهم شرُّه، فتركوا كل سبب موجب لذلك، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: وهم في حال يحبُّون فيها المال والطعام، لكنهم قدَّموا محبَّة الله علىٰ محبَّة نفوسهم، ويتحرَّون في إطعامهم أولىٰ الناس وأحوجهم ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾، ويقصدون بإنفاقهم وإطعامهم وجه الله تعالىٰ، ويقولون بلسان الحال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: لا جزاء ماليًّا ولا ثناءً قوليًّا؛ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أي: شديد الجهمة والشرِّ، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي: ضنكًا ضيِّقًا، ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ فلا يحزنهم الفزع الأكبر، وتتلقَّاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أي: أكرمهم وأعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم، فجمع لهم بين نعيم الظاهر والباطن، ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا﴾ علىٰ طاعة الله فعملوا ما أمكنهم منها، وعن معاصي الله فتركوها، وعلىٰ أقدار الله المؤلمة فلم يتسخَّطوها، ﴿جَنَّةً﴾ جامعةً لكل نعيم، سالمةً من كل مكدِّر ومنغِّص، ﴿وَحَرِيرًا﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج:٢٣]، ولعل الله إنما خصَّ الحرير؛ لأنه لباسهم الظاهر، الدال علىٰ

حال صاحبه.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الاتِّكاء: التمكُّن من الجلوس في حال الرفاهية والطمأنينة والراحة، والأرائك هي السرر التي عليها اللباس المزيَّن، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿شَمْسًا﴾ يضرُّهم حرُّها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ أي: بردًا شديدًا، بل جميع أوقاتهم في ظل ظليل، لا حر ولا برد، بحيث تلتذ به الأجساد، ولا تتألم من حر ولا برد.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: قربت ثمراتها من مريدها تقريبًا ينالها وهو قائم، أو قاعد، أو مضطجع.

ويُطاف علىٰ أهل الجنة أي: يدور عليهم الخدم والولدان ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: مادَّتها من فضة، وهي علىٰ صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها علىٰ صفاء القوارير.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ أي: قدَّروا الأواني المذكورة علىٰ قدر ريِّهم، لا تزيد ولا تنقص؛ لأنها لو زادت نقصت لذَّتها، ولو نقصت لم تف بريِّهم. ويحتمل أن المراد: قدَّرها أهلُ الجنة بنفوسهم بمقدارٍ يوافق لذاتهم، فأتتهم علىٰ ما قدَّروا في خواطرهم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة من كأس، وهو الإناء المملوء من خمر ورحيق، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي: خلطها ﴿زَنجَبِيلًا﴾ ليطيب طعمه وريحه.

﴿عَيْنًا فِيهَا﴾ أي: في الجنة، ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ سمِّيت بذلك لسلاستها ولذتها وحسنها.

﴿وَيَطُوفُ﴾ علىٰ أهل الجنة، في طعامهم وشرابهم وخدمتهم ﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: خُلقوا من الجنة للبقاء، لا يتغيَّرون ولا يكبرون، وهم في غاية الحسن، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ منتشرين في خدمتهم ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ من حسنهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾؛ وهذا من تمام لذَّة أهل الجنة أن يكون خدامهم الولدان المخلَّدون، الذين تسرُّ رؤيتهم، ويدخلون علىٰ مساكنهم آمنين من تبعتهم، ويأتونهم بما يدعون وتطلبه نفوسهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: هناك في الجنة، ورمقت ما هم فيه من النعيم ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ فتجد الواحد منهم عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة المشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس.

وعنده من الزوجات اللاتي هنَّ في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان ما يملأ القلب سرورًا، ولذَّةً وحبورًا، وحوله من الولدان المخلَّدين، والخدم المؤبَّدين ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتمُّ لذة العيش، وتكمل الغبطة.

ثم علاوةُ ذلك وأعظمه الفوزُ برؤية الربِّ الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقلُّ خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبرِّه وإحسانه.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجلُّ أنواع الحرير، فالسندس: ما غلُظ من الديباج.

والإستبرق: ما رقَّ منه. ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: حلُّوا في أيديهم أساور الفضة، ذكورهم وإناثهم، وهذا وعد وعدهم الله، وكان وعده مفعولًا؛ لأنه لا أصدق منه قيلًا ولا حديثًا.

وقوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهِّرًا لما في بطونهم من كلِّ أذىً وقذىً.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الجزاء الجزيل والعطاء الجميل ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ علىٰ ما أسلفتموه من الأعمال، ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: القليل منه يجعل الله لكم به من النعيم المقيم ما لا يمكن حصره.

وقوله تعالىٰ لما ذكر نعيم الجنة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ فيه الوعد والوعيد، وبيان كل ما يحتاجه العباد، وفيه الأمر بالقيام بأوامره وشرائعه أتمَّ القيام، والسعي في تنفيذها، والصبر علىٰ ذلك. ولهذا قال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: اصبر لحكمه القدري فلا تسخطه، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا يعوقك عنه عائق. ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ من المعاندين؛ الذين يريدون أن يصدُّوك ﴿ءَاثِمًا﴾ أي: فاعلًا إثمًا ومعصيةً، ولا ﴿كَفُورًا﴾؛ فإن طاعة الكفار والفجار والفساق لابدَّ أن تكون في المعاصي، فلا يأمرون إلا بما تهواه أنفسهم. ولما كان الصبر يساعده القيام بعبادة الله، والإكثار من ذكره أمره الله بذلك فقال: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: أول النهار وآخره، فدخل في ذلك الصلواتُ المكتوباتُ، وما يتبعها من النوافل، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والتكبير في هذه الأوقات.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ أي: أكثر له من السجود، ولا يكون ذلك إلا

بالإكثار من الصلاة . ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، وقد تقدَّم تقييد هذا المطلق بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية[1].

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المكذّبين لك أيُّها الرسول بعد ما بيَّنت لهم الآيات، ورُغِّبوا ورُهِّبوا، ومع ذلك لم يفد فيهم ذلك شيئًا، بل لا يزالون يؤثرون ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ويطمئنون إليها، ﴿وَيَذَرُونَ﴾ أي: يتركون العمل ويهملون ﴿وَرَآءَهُمْ﴾ أي: أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ وهو يوم القيامة، الذي مقداره خمسون ألف سنة مما تعدون، وقال تعالىٰ: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر:٨]، فكأنهم ما خلقوا إلا للدنيا والإقامة فيها.

[٢٨] ثم استدل عليهم وعلىٰ بعثهم بدليل عقلي؛ وهو دليل الابتداء، فقال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ أي: أوجدناهم من العدم، ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: أحكمنا خلقتهم بالأعصاب، والعروق، والأوتار، والقوىٰ الظاهرة والباطنة، حتىٰ تمَّ الجسم واستكمل، وتمكَّن من كل ما يريده، فالذي أوجدهم علىٰ هذه الحالة قادر علىٰ أن يعيدهم بعد موتهم لجزائهم، والذي نقلهم في هذه الدار إلىٰ هذه الأطوار لا يليق به أن يتركهم سُدًىٰ لا يؤمرون، ولا يُنهون، ولا يثابون، ولا يعاقبون، ولهذا قال: ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي: أنشأناكم للبعث نشأة أخرىٰ، وأعدناكم بأعيانكم، وهم بأنفسهم أمثالهم. ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: يتذكَّر بها المؤمن، فينتفع بما فيها من التخويف والترغيب، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا موصلًا إليه، فالله يبيِّن الحق والهدىٰ، ثم يخيِّر الناس بين الاهتداء بها أو النفور عنها، مع قيام الحجة عليهم، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فإن مشيئة الله نافذة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

---

(١) (المزمل:١-٢).

عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فله الحكمة في هداية المهتدي، وإضلال الضال؛ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ فيختصه بعنايته، ويوفِّقه لأسباب السعادة ويهديه لطرقها. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين اختاروا الشقاء على الهدى ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بظلمهم وعدوانهم.

تم تفسير سورة الإنسان - ولله الحمد والمنة.

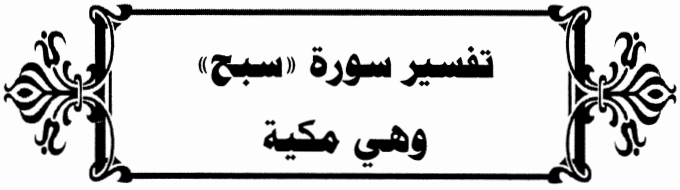

[١ - ١٩]: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ۝٦ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ۝١١ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝١٦ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

يأمر تعالىٰ بتسبيحه المتضمن لذكره وعبادته، والخضوع لجلاله، والاستكانة لعظمته، وأن يكون تسبيحًا يليق بعظمة الله تعالىٰ، بأن تذكر أسماؤه الحسنىٰ العالية علىٰ كل اسم بمعناها الحسن العظيم، وتذكر أفعاله التي منها أنه خلق المخلوقات فسواها، أي: أتقنها وأحسن خلقها، ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ تقديرًا تتبعه جميع المقدَّرات ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلىٰ ذلك جميع المخلوقات. وهذه الهداية العامة؛ التي مضمونها أنه هدىٰ كل مخلوق لمصلحته، وتذكر فيها نعمه الدنيوية، ولهذا قال فيها: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنزل من السماء ماءً فأنبت به أنواع النبات والعشب الكثير، فرتع فيها الناس والبهائم وكل حيوان، ثم بعد أن استكمل ما قدِّر له من الشباب ألوىٰ نباته،

وصوح عشبه، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ أي: أسود، أي: جعله هشيمًا رميمًا. ويذكر فيها نعمه الدينية، ولهذا امتنَّ الله بأصلها ومنشئها، وهو القرآن فقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ أي: سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب، ونُوعيه قلبك، فلا تنسىٰ منه شيئًا، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ أن الله سيعلِّمه علمًا لا ينساه. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ مما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة، ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ومن ذلك أنه يعلم ما يصلح عباده أي: فلذلك يشرع ما أراد، ويحكم بما يريد، ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وهذه أيضًا بشارة كبيرة أن الله ييسِّر رسوله ﷺ لليسرىٰ في جميع أموره، ويجعل شرعه ودينه يسرًا .

﴿فَذَكِّرْ﴾ بشرع الله وآياته ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: ما دامت الذكرىٰ مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرىٰ جميع المقصود أو بعضه. ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرىٰ، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير؛ لم تكن الذكرىٰ مأمورًا بها، بل منهيًّا عنها، فالذكرىٰ ينقسم الناس فيها قسمين: منتفعون وغير منتفعين.

فأما المنتفعون؛ فقد ذكرهم بقوله: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ الله تعالىٰ؛ فإن خشية الله تعالىٰ، وعلمه بأن سيجازيه علىٰ أعماله توجب للعبد الانكفاف عن المعاصي، والسعي في الخيرات.

وأما غير المنتفعين؛ فذكرهم بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وهي النار الموقدة، التي تطلع علىٰ الأفئدة. ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي: يعذَّب عذابًا أليمًا، من غير راحة ولا استراحة، حتىٰ إنهم يتمنَّون الموت فلا يحصل لهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ

عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي: قد فاز وربح من طهَّر نفسه ونقَّاها من الشرك والظلم ومساوئ الأخلاق، ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ أي: اتصف بذكر الله، وانصبغ به قلبه، فأوجب له ذلك العمل بما يرضي الله، خصوصًا الصلاة؛ التي هي ميزان الإيمان، فهذا معنىٰ الآية الكريمة، وأما من فسَّر قوله: ﴿تَزَكَّىٰ﴾ بمعني أخرج زكاة الفطر، وذكر اسم ربه فصلىٰ أنه صلاة العيد؛ فإنه وإن كان داخلًا في اللفظ وبعض جزئياته، فليس هو المعنىٰ وحده.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ أي: تقدِّمونها علىٰ الآخرة، وتختارون نعيمها المنغَّص المكدَّر الزائل علىٰ الآخرة.

﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وللآخرة خير من الدنيا في كل وصف مطلوب، وأبقىٰ لكونها دار خلد وبقاء وصفاء، والدنيا دار فناء، فالمؤمن العاقل لا يختار الأردأ علىٰ الأجود، ولا يبيع لذة ساعة بترحة الأبد، فحب الدنيا وإيثارها علىٰ الآخرة رأس كل خطيئة.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور لكم في هذه السورة المباركة؛ من الأوامر الحسنة، والأخبار المستحسنة ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ اللذين هما أشرف المرسلين، سوىٰ النبيِّ محمد -صلىٰ الله وسلم عليه وسلم-؛ فهذه أوامر في كل شريعة؛ لكونها عائدة إلىٰ مصالح الدارين، وهي مصالح في كل زمان ومكان.

تم تفسير سورة «سبِّح»، ولله الحمد.

تفسير سورة الغاشية وهي مكية

[١ - ١٦] بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

يذكر تعالىٰ أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامَّة، وأنها تغشىٰ الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميَّزون [إلىٰ] فريقين: فريقٍ في الجنة، وفريقٍ في السعير. فأخبر عن وصف كلا الفريقين، فقال في وصف أهل النار: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ من الذل، والفضيحة والخزي. ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ أي: تاعبة في العذاب، تُجرُّ علىٰ وجوهها، وتغشىٰ وجوههم النار.

ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ في الدنيا؛ لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان صار يوم القيامة هباءً منثورًا، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحًا من حيث المعنىٰ؛ فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول؛ لأنه قيَّده بالظرف، وهو يوم القيامة، ولأن المقصود

هنا بيان وصف أهل النار عمومًا، وذلك الاحتمال جزء قليل من أهل النار بالنسبة إلىٰ أهلها؛ ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرُّضٌ لأحوالهم في الدنيا.

وقوله: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ أي: شديدًا حرُّها، تحيط بهم من كل مكان، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي: حارَّة شديدة الحرارة ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[1] فهذا شرابهم.

وأما طعامهم فـ ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسدَّ جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة، نسأل الله العافية.

وأما أهل الخير؛ فوجوههم يوم القيامة ﴿نَّاعِمَةٌ﴾ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسرُّوا غاية السرور.

﴿لِّسَعْيِهَا﴾ الذي قدَّمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلىٰ عباد الله، ﴿رَاضِيَةٌ﴾ إذ وجدت ثوابه مدَّخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه، وذلك أنها ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عَالِيَةٍ﴾ في محلِّها ومنازلها، فمحلُّها في أعلىٰ عليِّين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنيَّة، يشرفون منها علىٰ ما أعد

---

(١) (الكهف:٢٩).

الله لهم من الكرامة. ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[1] أي: كثيرة الفواكه اللذيذة، المثمرة بالثمار الحسنة، السهلة التناول، بحيث ينالونها علىٰ أي: حال كانوا، لا يحتاجون أن يصعدوا شجرة، أو يستعصي عليهم منها ثمرة.

﴿تَسْمَعُ فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿لَاغِيَةً﴾ أي: كلمة لغو وباطل، فضلًا عن الكلام المحرَّم، بل كلامهم كلام حسن نافع مشتمل علىٰ ذكر الله تعالىٰ، وذكر نعمه المتواترة عليهم، وعلىٰ الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسرُّ القلوب، ويشرح الصدور.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيونْ الجارية التي يفجِّرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنىٰ أرادوا.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ و«السرر» جمع «سرير» وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أي: أوانٍ ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدَّت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلَّدون.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد من الحرير والإستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صُفَّت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، ويصفُّوها بأنفسهم.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ والزرابيُّ هي: البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

---

(١) (الحاقة:٢٣).

[١٧ - ٢٦]: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.

يقول تعالىٰ حثًّا للذين لا يصدِّقون الرسول ﷺ ولغيرهم من الناس أن يتفكَّروا في مخلوقات الله الدالَّة علىٰ توحيده: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أي: ألا ينظرون إلىٰ خلقها البديع، وكيف سخَّرها الله للعباد، وذلَّلها لمنافعهم الكثيرة التي يضطرون إليها.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ بهيئة باهرة، حصل بها استقرار الأرض وثباتها عن الاضطراب، وأودع فيها من المنافع الجليلة ما أودع.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: مُدَّت مدًّا واسعًا، وسهِّلت غاية التسهيل، ليستقر الخلائق علىٰ ظهرها، ويتمكَّنوا من حرثها وغراسها، والبنيان فيها، وسلوك الطرق الموصلة إلىٰ أنواع المقاصد فيها.

واعلم أن تسطيحها لا ينافي أنها كرة مستديرة، قد أحاطت الأفلاك فيها من جميع جوانبها، كما دلَّ علىٰ ذلك النقل والعقل والحس والمشاهدة، كما هو مذكور معروف عند أكثر الناس، خصوصًا في هذه الأزمنة، التي وقف الناس علىٰ أكثر أرجائها بما أعطاهم الله من الأسباب المقرِّبة للبعيد؛ فإن التسطيح إنما ينافي كروية الجسم الصغير جدًّا؛ الذي لو سطح لم يبق له استدارة تذكر.

وأما جسم الأرض الذي هو في غاية الكبر والسعة فيكون كرويًّا مسطحًا، ولا يتنافىٰ الأمران، كما يعرف ذلك أرباب الخبرة.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ أي: ذكِّر الناس وعظهم، وأنذرهم وبشِّرهم؛ فإنك مبعوث لدعوة الخلق إلىٰ الله وتذكيرهم، ولم تبعث مسيطرًا عليهم، مسلَّطًا موكَّلًا بأعمالهم، فإذا قمت بما عليك، فلا عليك بعد ذلك لوم، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ أي: لكن من تولَّىٰ عن الطاعة وكفر بالله ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ أي: الشديد الدائم، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: رجوع الخليقة وجمعهم في يوم القيامة. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ فنحاسبهم علىٰ ما عملوا من خير وشرٍّ.

آخر تفسير سورة الغاشية، والحمد لله رب العالمين.

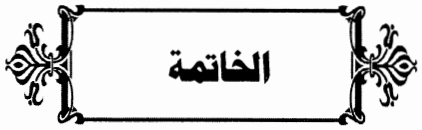

ولما كان من المستحسن أن لكل بحث علمي خاتمة تشير إلىٰ موضوعه أو محتوياته أو بعضها؛ فإني استحسنت أن تكون الخاتمة لهذا البحث نبذة من كلام ابن قيم الجوزية صاحب القلم السيَّال والسحر الحلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فيها بيان اختيار الله بالاجتباء والاصطفاء والتفضيل لبعض مخلوقاته علىٰ بعض من العالم العلوي والعالم السفلىٰ؛ إذ قال:

«وإذا تأمَّلت أحوالَ هذا الخلقِ رأيتَ هذا الاختيار والتخصيص فيه دالًا علىٰ ربوبيته تعالىٰ ووحدانيته، وكمالِ حكمته وعلمه وقدرته، وأنه اللهُ الذي لا إله إلا هو، فلا شريك له يخلُق كخلقه، ويختار كاختياره، ويدبِّر كتدبيره، فهذا الاختيارُ والتدبير والتخصيص المشهود أثرُه في هذا العالم مِنْ أعظم آيات ربوبيته، وأكبرِ شواهد وحدانيته، وصفات كماله، وصدقِ رسله، فنشيرُ منه إلىٰ يسير يكونُ منبِّهًا علىٰ ما وراءه، دالًا علىٰ ما سواه.

فخلق الله السمواتِ سبعًا، فاختار العُليا منها، فجعلها مستقرَّ المقرَّبين مِن ملائكته، واختصَّها بالقرب مِن كرسيِّه ومِن عرشه، وأسكنها مَن شاءَ مِن خلقه، فلها مزيَّةٌ وفضلٌ علىٰ سائر السموات، ولو لم يكن إلا قربُها منه تبارك وتعالىٰ. وهذا التفضيلُ والتخصيصُ مع تساوي مادة السموات مِن أبين الأدلَّة علىٰ كمال قدرته وحكمته، وأنه يخلق ما يشاء ويختار.

وَمِن هذا تفضيلُه سبحانه جنّةَ الفردوس علىٰ سائر الجنان،

وتخصيصُها بأن جعل عرشه سقفَها، وفي بعض الآثار: «**إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ غَرَسَهَا بِيَدِهِ، وَاخْتَارَهَا لِخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ**» . وَمِن هذا اختيارُه مِن الملائكة المصطفيْنَ مِنهم علىٰ سائرهم؛ كجبريلَ، وميكائيلَ، وإسرافيلَ، وكان النبيُّ ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[(١)]، فذكر هؤلاء الثلاثة مِن الملائكة لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم مِن مَلَك غيرهِم في السموات فلم يُسمَّ إلا هؤلاء الثلاثة. فجبريل: صاحبُ الوحي الذي به حياةُ القلوب والأرواح، وميكائيلُ: صاحب القَطْرِ الذي به حياةُ الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل: صاحب الصُور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفختُه بإذن الله الأموات، وأخرجتهم مِن قبورهم.

وكذلك اختيارُه سبحانه للأنبياء مِن ولد آدم -عليه وعليهم الصلاةُ والسلام-، وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، واختياره الرسل منهم، وهم ثَلاثُمائة وثلاثة عشر، علىٰ ما في حديث أبي ذر الذي رواه أحمد، وابن حبان في «صحيحه»[(٢)]، واختيارُه أولي العزم منهم، وهم خمسة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: صلاة المسافرين: باب الدُّعَاءِ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، حديث (٧٧٠)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨ و١٧٩)، ورواه ابن حبان في صحيحه: كتاب البر والإحسان: ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبي بشيء منها (٢/ ٧٦-٧٩رقم٣٦١).

المذكورون في سورة (الأحزاب) و(الشورىٰ) في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورىٰ: ١٣]، واختار منهم الخليلين: إبراهيمَ ومحمدًا صلىٰ الله عليهما وآلهما وسلم.

وَمِنْ هذا اختيارُه سبحانه ولدَ إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كِنانة مِن خُزيمة، ثم اختار مِن ولد كِنانة قُريشًا، ثم اختار مِن قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سَيِّدَ ولدِ آدم محمَّدًا ﷺ.

وكذلك اختار أصحابه مِن جملة العَالَمِيَنَ، واختار منهم السابقينَ الأولين، واختار منهم أهلَ بدر، وأهلَ بيعة الرِّضوان، واختار لهم مِن الدِّين أكملَه، ومِن الشرائع أفضلَها، ومن الأخلاق أزكَاها وأطيبها وأطهَرها.

واختار أمَّته ﷺ علىٰ سائر الأمم؛ كما في «مسند الإمام أحمد» وغيره من حديث بهَزِ بن حكيم بن معاوية بن حيْدَةَ، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «**أَنْتُمْ مُوفونَ سَبْعِينَ أُمَّة أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ**»(١). قال علي بن المْديني وأحمد: حديثُ بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه صحيح.

وظهر أثرُ هذا الاختيار في أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدِهم ومنازلهم في الجنَة، ومقاماتهم في الموقف؛ فإنهم أعلىٰ من النَّاس علىٰ تلٍّ فوقهم يشرفون عليهم، وفي الترمذي من حديث بُريدة بن الحُصَيْبِ الأسلمي

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٤٤٧) و(٥/ ٣).

قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَهلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمَائَةُ صفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ**»(١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

والذي في «الصحيح» من حديث أبي سعيد الخُدري، عن النبيِّ ﷺ في حديث بعث النار: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه إِنِّي لأَطْمَعُ أَنْ تكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٢)، ولم يزد علىٰ ذلك. فَإِمَّا أن يقال: هذا أصح، وإمَّا أن يُقال: إن النبيَّ ﷺ طمع أن تكون أمتُه شطرَ أهل الجنة، فأعلمه ربُّه فقال: «**إنهم ثمانون صفًّا من مائة وعشرين صفًّا**»، فلا تنافي بين الحديثين، والله أعلم.

وَمِن تفضيل الله لأمته واختيارِه لها: أنه وهبها مِن العلم والحلم ما لم يَهَبْهُ لأُمَّة سواها، وفي «**مسند البزار**» وغيره من حديث أبي الدرداء قال: سمعتُ أبا القاسم ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِعيسَىٰ ابْنِ مَرِيَمَ: «إِنِّي بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ أَصَابَهُم مَا يُحِبُّونَ؛ حَمِدُوا وَشَكَرُوا، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ؛ احْتَسَبُوا وَصبَرُوا، وَلاَ حِلْمَ وَلاَ عِلْمَ، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ هَذَا وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ؟ قَالَ: أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي**»(٣).

وَمِن هذا: اختيارُه ﷻ مِن الأماكن والبلاد خيرَهَا وأشرفهَا، وهي

---

(١) رواه الترمذي في صفة الجنة: باب ١٣ ما جاء في صفة أهل الجنة، حديث (٢٥٤٦). وقال: «حديث حسن».

(٢) رواه البخاري في التفسير: باب: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾، حديث (٤٧٤١)، ومسلم: في الإيمان: باب قَوْلِهِ: «يَقُولُ اللهُ لآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ». حديث (٢٢٢).

(٣) مسند البزار (١٠/ ٢٧-٢٨رقم٤٠٨٨). قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ إلا من رواية أبي الدرداء بهذا الإسناد عن النبيِّ ﷺ، ومعاوية بن صالح ثقة، ويونس بن ميسرة بن حلبس ثقة من أهل الشام من عبَّادهم يجمع حديثه، وإسناده حسن».

البلد الحرامُ؛ فإنه ﷻ اختاره لنبيِّه ﷺ، وجعله مناسك لعباده، وأوجب عليهم الإتيانَ إليه من القُرْب والبُعْد مِن كلِّ فَجٍّ عميقٍ، فلا يَدخلونه إلا متواضعين متخشعين متذللين، كاشفي رؤوسهم، متجردين عن لِباس أهل الدنيا، وجعلَه حَرَمًا آمِنًا، لا يُسفك فيه دمٌ، ولا تُعَضَدُ به شجرة، ولا يُنَفَّر له صيدٌ، ولا يُختلىٰ خلاه، ولا تُلتقط لُقَطَتُه للتمليك بل للتعريف ليس إلا، وجعل قصده مكفِّرًا لما سلف من الذنوب، ماحيًا للأوزار، حاطًّا للخطايا؛ كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ هَذَا الْبَيْتَ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيوْم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١)، ولم يرض لقاصده مِنَ الثواب دون الجنَّة؛ ففي «السنن» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحدِيدِ والذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ دُونَ الجنَّةِ**»(٢). وفي «**الصحيحين**» عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**العُمْرَةُ إِلَىٰ العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةَ**»(٣)، فلو لم يكن البلدُ الأمين خيرَ بلاده، وَأحبَّها إليه، ومختارَه من البلاد، لما جعل عرصَاتِها مناسِكَ لعباده،

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المحصر: باب قَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ﴾، حديث (١٨٢٠)، وصحيح مسلم: كتاب الحج: باب في فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ، حديث (١٣٥٠).

(٢) رواه النسائي في مناسك الحج: فضل المتابعة بين الحج والعمرة، حديث (٢٦٣١)، والترمذي: كتاب الحج: باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة، حديث (٨١٠) وقال: «حسن صحيح غريب».

(٣) أخرجه البخاري: في العمرة: باب وُجُوبِ الْعُمْرَةِ وَفَضْلِهَا، حديث (١٧٧٣)، ومسلم: كتاب الحج: باب في فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ، حديث (١٣٤٩).

فَرَضَ عليهم قصدَها، وجعل ذلك من آكدِ فروض الإسلام، وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين منه، فقال تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١]، وليس علىٰ وجه الأرض بقعةٌ يجب علىٰ كل قادرٍ السعيُ إليها والطوافُ بالبيت الذي فيها غيرها، وليس علىٰ وجه الأرض موضعٌ يُشرع تقبيلُه واستلامُه، وتُحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود، والركن اليماني. وثبت عن النبيِّ ﷺ أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة؛ ففي «سنن النسائي» و«المسند»[1] بإسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**صَلاَةٌ في مَسجدي هَذَا أَفْضَلُ مِن ألفِ صلاَة فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسْجدَ الْحَرَامَ، وصَلاَةٌ في المَسجِدِ الحَرَامِ أَفْضَل مِنْ صَلاَةً في مَسْجدي هَذَا بمَائَة صَلاَة**»، ورواه ابن حبان في «صحيحه»[2]، وهذا صريح في أن المسجد الحَرامَ أفضلُ بقاعِ الأرض علىٰ الإطلاق، ولذلك كان شدُّ الرحال إليه فرضًا، ولِغيره مما يُستحب ولا يجب، وفي «**المسند**»، والترمذي والنسائي، عن عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف علىٰ راحلته بالحَزْوَرَة مِنْ مَكَّةَ يَقُول: «**وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَىٰ اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ**»[3]. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

---

(١) مسند أحمد (٤/ ٥).

(٢) صحيح ابن حبان: المساجد: ذكر فضل الصلاة في المسجد الحرام علىٰ الصلاة في مسجد المدينة بمائة صلاة (٤/ ٤٩٩رقم١٦٢٠).

(٣) مسند أحمد (٤/ ٣٠٥)، وجامع الترمذي: كتاب المناقب: باب (٦٩): في فضل مكة، حديث (٣٩٢٥)، والسنن الكبرىٰ للنسائي: فضائل مكة والمدينة: فضل مكة (٢/ ٤٧٩رقم٤٢٥١ و٤٢٥٢).

بل وَمِن خصائصها: كونُها قبلةً لأهل الأرض كلِّهم، فليس علىٰ وجه الأرض قبلةٌ غيرُها.

ومِن خواصِّها أيضًا: أنه يحرم استقبالُها واستدبارُها عند قضاء الحاجة، دون سائر بِقاع الأرض.

وأصحُّ المذاهب في هذه المسألة: أنه لا فرق في ذلك بين الفضاء والبنيان، لبضعة عشر دليلًا قد ذُكِرت في غير هذا الموضع، وليس مع المفرِّق ما يُقاومها البتَّة، مع تناقضهم في مقدار الفضاء والبنيان، وليس هذا موضعَ استيفاء الحِجَاج من الطرفين.

ومن خواصِّها أيضًا: أن المسجد الحرام أولُ مسجد وضع في الأرض؛ كما في «الصحيحين» عن أبي ذر قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ؟ فَقَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**المَسْجَدُ الأَقْصَىٰ**» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ عَامًا**»[1]، وقد أشكل هذا الحديث علىٰ من لم يعرفِ المرادَ به، فقال: معلوم أن سليمان بنَ داود هو الذي بنىٰ المسجد الأقصىٰ، وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام! وهذا من جهل هذا القائلِ؛ فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصىٰ تجديدُه، لا تأسيسُه، والذي أسَّسه هو يعقوب بن إسحاق -صلىٰ الله عليهما وآلهما وسلم- بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار.

ومما يدلُّ علىٰ تفضيلها: أن الله تعالىٰ أخبر أنها أمُّ القرىٰ، فالقرىٰ كلُّها تبعٌ لها، وفرعٌ عليها، وهي أصلُ القرىٰ، فيجب ألاَّ يكون لها في

---

(١) صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء، باب (١١)، حديث (٣٣٦٦)، وصحيح مسلم: المساجد، باب (١)، حديث (٥٢٠).

القُرىٰ عَدِيل؛ فهي كما أخبر النبيُّ ﷺ عن (الفاتحة) أنها أمُّ القرآن، ولهذا لم يكن لها في الكتب الإلهيَّة عديلٌ.

ومن خصائصها: أنها لا يجوزُ دخولُها لغير أصحاب الحوائج المتكرِّرة إلا بإحرام، وهذه خاصيَّة لا يُشاركها فيها شيءٌ من البلاد، وهذه المسألةُ تلقَّاها الناسُ عن ابن عباس[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد روي عن ابن عباس بإسناد لا يُحتج به مرفوعًا: «**لا يَدْخُلُ أَحَدٌ مَكَّةَ إلاَّ بِإِحْرَامٍ، مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ غَيرِ أَهْلِهَا**»؛ ذكره أبو أحمد ابن عدي[2]، ولكن الحجاج بن أرطاة في الطريق، وآخر قبله من الضعفاء.

وللفقهاء في المسألة ثلاثةُ أقوال: النَّفْيُ، والإثباتُ، والفرقُ بين من هو داخل المواقيتِ ومن هو قبلَها، فمن قبلها لا يُجَاوزها إلا بإحرام، ومن هو داخلها؛ فحكمُه حكمُ أهل مكَّة، وهو قول أبي حنيفة، والقولان الأولان للشافعي وأحمد.

ومِن خواصِّه: أنه يُعاقب فيه علىٰ الهمِّ بالسيئات وإن لم يفعلها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فتأمل كيف عدَّىٰ فعل الإرادة هاهنا بالباء، ولا يقال: أردتُ بكذا إلا لما ضُمِّن معنىٰ فعل «همَّ» فإنه يقال: هممت بكذا، فتوعَّد من همَّ بأن يَظلم فيه بأن يُذيقه العذَابَ الأليم.

---

(١) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٢٠٩رقم١٣٥١٧) و(٣/ ٤٣١رقم١٥٦٩٣) وسنن الدارقطني (٢/ ٢٨٤رقم٢١٦) ومستدرك الحاكم (١/ ٦٤٣رقم١٧٢٩) قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم».

(٢) في الكامل في ضعفاء الرجال (٦/ ٢٧٣).

وَمِن هذا: تضاعفُ مقادير السيِّئات فيه، لا كميَّاتُها؛ فإن السيِّئة جزاؤها سيِّئة، لكن سيِّئة كبيرة، وجزاؤها مثلها، وصغيرة جزاؤها مثلها، فالسيِّئة في حَرَمِ الله وبلده وعلىٰ بساطه آكدُ وأعظمُ منها في طرف من أطراف الأرض، ولهذا ليس من عصىٰ الملِك علىٰ بساط مُلكه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبِساطه، فهذا فصلُ النزاع في تضعيف السيِّئات، والله أعلم.

وقد ظهر سرُّ هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة، وهوىٰ القلوب وانعطافها ومحبَّتها لهذا البلدِ الأمين، فجذبُه للقلوب أعظمُ من جذب المغناطيس للحديد، فهو الأولىٰ بقول القائل:

مَحَاسِنُهُ هَيُولَى كُلِّ حُسْنٍ وَمَغْنَاطِيسُ أَفْئِدَةِ الرِّجَالِ

ولهذا أخبر سبحانه أنه مثابةٌ للناس، أي: يثوبون إليه علىٰ تعاقب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يَقضون منه وطرًا، بل كلما ازدادوا له زيارة؛ ازدادوا له اشتياقًا.

لَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهَا حِينَ يَنْظُرُهَا حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهَا الطَّرْفُ مُشْتَاقًا

فللَّه كم لها مِن قتيل وسليبٍ وجريح، وكم أُنفِقَ في حبِّها من الأموال والأرواح، وَرَضِيَ المحبُّ بمفارقةِ فِلَذِ الأكباد والأهل، والأحباب والأوطان، مقدِّمًا بين يديه أنواع المخاوف والمتالف، والمعاطف والمشاقِّ، وهو يستلِذُّ ذلك كلَّه ويستطيبُه، ويراه - لو ظهر سلطانُ المحبَّة في قلبه - أطيب من نِعَمِ المتحلية وترفهم ولذاتهم.

وَلَيْسَ مُحِبًّا مَنْ يَعُدُّ شَقَاءَهُ عَذَابًا إِذَا مَا كَانَ يَرْضَى حَبِيبُهُ

وهذا كلُّه سرُّ إضافته إليه ﷻ بقوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة:١٢٥]، فاقتضت هذه الإضافة الخاصة من هذا الإجلال والتعظيم والمحبَّة ما اقتضته، كما اقتضت إضافته لعبده ورسوله إلىٰ نفسه ما اقتضته من ذلك، وكذلك إضافته عبادَه المؤمنين إليه كستهم من الجلال والمحبَّة والوقار ما كستهم، فكلُّ ما أضافه الرَّبُّ تعالىٰ إلىٰ نفسه فله من المزيَّة والاختصاص علىٰ غيره ما أوجب له الاصطفاءَ والاجتباءَ، ثم يكسوه بهذه الإضافة تفضيلًا آخر، وتخصيصًا وجلالةً زائدًا علىٰ ما كان له قبل الإضافة، ولم يُوفَّق لفهم هذا المعنىٰ من سوَّىٰ بين الأعيان والأفعال، والأزمان والأماكن، وزعم أنه لا مزيَّة لشيء منها علىٰ شيء، وإنما هو مجرَّد الترجيح بلا مرجِّح، وهذا القول باطل بأكثر من أربعين وجهًا؛ قد ذكرت في غير هذا الموضع، ويكفي تصوُّرُ هذا المذهب الباطلِ في فساده؛ فإن مذهبًا يقتضي أن تكون ذواتُ الرسل كذوات أعدائهم في الحقيقة، وإنما التفضيل بأمر لا يرجع إلىٰ اختصاص الذوات بصفات ومزايا لا تكون لغيرها، وكذلك نفسُ البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة علىٰ بُقعة مزيَّة البتَّة، وإنما هو لِما يَقع فيها من الأعمال الصالحة، فلا مزيَّة لبقعة البيت، والمسجد الحرام، ومِنىٰ، وعرفة، والمشاعر علىٰ أي بقعة سميتها من الأرض، وإنما التفضيلُ باعتبار أمر خارج عن البقعة لا يعودُ إليها، ولا إلىٰ وصف قائم بها، والله ﷻ قد ردَّ هذا القولَ الباطلَ بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤] أي: ليس كلُّ أحد أهلًا ولا صالحًا لتحمُّل رسالته، بل لها محالُّ مخصوصة لا تليق إلا

بها، ولا تصلح إلا لها، والله أعلم بهذه المحالِّ منكم. ولو كانت الذواتُ متساوية كما قال هؤلاء لم يكن في ذلك ردٌّ عليهم، وكذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] أي: هو سبحانه أعلمُ بمن يشكره علىٰ نعمته، فيختصُّه بفضله، وَيَمُنُّ عليه ممن لا يشكره، فليس كلُّ محلٍّ يصلح لشكره، واحتمال منَّته، والتخصيص بكرامته.

فذواتُ ما اختاره واصطفاه من الأعيان والأماكن والأشخاص وغيرها مشتمِلةٌ علىٰ صفات وأمور قائمة بها ليست لغيرها، ولأجلها اصطفاها اللهُ، وهو سبحانه الذي فضَّلها بتلك الصفاتِ، وخصَّها بالاختيار، فهذا خلقُه، وهذا اختياره ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٧]، وما أبين بطلانَ رأْيٍ يقضي بأن مكان البيت الحرام مساوٍ لسائر الأمكنة، وذاتَ الحجر الأسود مساويةٌ لسائر حجارة الأرض، وذاتَ رسول الله مساويةٌ لذات غيره، وإنما التفضيلُ في ذلك بأمور خارجة عن الذات والصفات القائمة بها، وهذه الأقاويل وأمثالُها من الجنايات التي جناها المتكلمون علىٰ الشريعة، ونسبوها إليها وهي بريئة منها، وليس معهم أكثرُ من اشتراك الذوات في أمر عام، وذلك لا يوجب تساويها في الحقيقة؛ لأن المختلفاتِ قد تشترِك في أمر عام، مع اختلافها في صفاتها النفسية، وما سوَّىٰ اللهُ تعالىٰ بين ذات المِسك وذاتِ البول أبدًا، ولا بين ذات الماء وذات النَّار أبدًا، والتفاوتُ البَيِّنُ بَيْنَ الأمكنة الشريفة وأضدادها، والذواتِ الفاضلة وأضدادها أعظمُ من هذا التفاوت بكثير، فبين ذاتِ موسىٰ عليه السلام وذاتِ فرعون من التفاوت أعظمُ مما بين المسك والرجيع، وكذلك التفاوتُ بين نفس الكعبة وبين بيت السلطان أعظمُ من هذا التفاوت أيضًا بكثير، فكيف تُجْعَلُ البقعتان سواءً في الحقيقة

والتفضيل باعتبار ما يقع هناك من العبادات والأذكار والدعوات؟!

ولم نقصِدِ استيفاءَ الردِّ علىٰ هذا المذهب المردودِ المرذول، وإنما قصدنا تصويرَه، وإلىٰ اللبيب العادل العاقل التحاكُم، ولا يَعبأ الله وعبادُه بغيره شيئًا، والله -سبحانه- لا يُخصِّصُ شيئًا ولا يُفضِّله ويرجِّحه إلا لمعنىٰ يقتضي تخصيصَه وتفضيله، نعم هو مُعطي ذلك المرجِّح وواهبُه، فهو الذي خلقه، ثم اختاره بعد خلقه، وربُّك يخلق ما يشاءُ ويختار.

ومِن هذا تفضيلُه بعض الأيام والشهور علىٰ بعض، فخير الأيام عند الله يومُ النحر، وهو يومُ الحج الأكبر كما في «**السنن**» عنه ﷺ أنه قال: «**أَفْضَلُ الأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ القَرِّ**»(١). وقيل: يومُ عرفة أفضلُ منه، وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعي، قالوا: لأنه يومُ الحج الأكبر، وصيامُه يكفِّر سنتين، ومَا مِنْ يَوْم يَعْتِقُ اللهُ فِيهِ الرِّقابَ أَكثَرَ مِنهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، ولأنه ﷻ يَدْنُو فِيهِ مِنْ عِبَادِه، ثُمَّ يُبَاهِي مَلاَئِكَتَه بِأَهْلِ الموقف. والصواب القول الأول؛ لأن الحديثَ الدالَّ علىٰ ذلك لا يُعارضه شيء يُقاومه، والصوابُ أن يومَ الحج الأكبر هو يومُ النَّحر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [التوبة:٣] وثبت في «الصحيحين»(٢) أن أبا بكر وعليًّا رضي الله عنهما أَذَّنَا بِذَلِكَ يَوْمَ النَّحْرِ، لا يومَ عَرَفَةَ.

---

(١) رواه أبو داود في المناسك: باب مَنْ نَحَرَ الْهَدْيَ بِيَدِهِ وَاسْتَعَانَ بِغَيْرِهِ، حديث (١٧٦٥)، عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري: التفسير: باب قَوْلِهِ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، حديث (٤٦٥٥)، ومسلم: الحج: باب لاَ يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ وَلاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الأَكْبَرِ، حديث (١٣١٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي «سنن أبي داود» بأصحِّ إسناد أن رسول الله ﷺ قال: «**يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ يَوْمُ النَّحْرِ**»(١)، وكذلك قال أبو هريرة وجماعةٌ من الصحابة، ويومُ عرفة مقدِّمة ليوم النَّحر بين يديه؛ فإن فيه يكونُ الوقوفُ، والتضرُّعُ، والتوبةُ، والابتهالُ، والاستقالةُ، ثم يومَ النَّحر تكون الوفادةُ والزيارة، ولهذا سمّي طوافه طوافَ الزيارة؛ لأنهم قد طهروا من ذنوبهم يوم عرفة، ثم أذن لهم ربُّهم يوم النَّحر في زيارته، والدخولِ عليه إلىٰ بيته، ولهذا كان فيه ذبحُ القرابين، وحلقُ الرؤوس، ورميُ الجمار، ومعظمُ أفعال الحج، وعملُ يوم عرفة كالطهور والاغتسال بين يدي هذا اليوم. وكذلك تفضيل عشر ذي الحجة علىٰ غيره من الأيام؛ فإنَّ أيَّامه أفضلُ الأيامِ عند الله، وقد ثبت في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ هذه الأَيَّامِ العَشْرِ**» قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: «**وَلاَ الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ ومَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيءٍ**»(٢)، وهي الأيامُ العشر التي أقسم الله بها في كتابه بقوله: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١-٢]، ولهذا يُستحب فيها الإكثارُ من التكبير والتهليل والتحميدِ؛ كما قال النبيُّ ﷺ: «**فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَحْمِيدِ**»(٣)، ونسبتُها إلىٰ الأيام كنسبة مواضع

---

(١) سنن أبي داود: المناسك: باب يَوْمِ الْحَجِّ الأَكْبَرِ، حديث (١٩٤٥)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري: في العيدين: باب فَضْلِ الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، حديث (٩٦٩). ورواه أبو داود: في الصيام: باب في صَوْمِ الْعَشْرِ، حديث (٢٤٣٨)، والترمذي: في الصوم: باب ما جاء في العمل في أيام العشر، حديث (٧٥٧)، وابن ماجه: في كتاب الصيام: (٣٩) باب صيام العشر، حديث (١٧٢٧).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٧٥ و١٣١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

المناسك في سائر البقاع.

ومِنْ ذلك: تفضيلُ شهر رمضان علىٰ سائر الشهور، وتفضيلُ عشرِهِ الأخير علىٰ سائر الليالي، وتفضيلُ ليلة القدر علىٰ ألف شهر.

فإن قلت: أيُّ العَشرين أفضلُ؟ عَشرُ ذي الحِجَّة، أو العشرُ الأخير من رمضان؟ وأيُّ الليلتين أفضلُ؟ ليلةُ القدرِ، أو ليلة الإسراء؟

قلت: أمَّا السؤالُ الأول؛ فالصوابُ فيه أن يقالُ: ليالي العشر الأخير من رمضان أفضلُ من ليالي عشر ذي الحجة، وأيَّام عشر ذي الحِجَّة أفضلُ من أيام عشر رمضان، وبهذا التفصيلِ يزولُ الاشتباه، ويدلُّ عليه أن لياليَ العشر من رمضان إنما فُضِّلَتْ باعتبار ليلة القدر، وهي من الليالي، وعشرُ ذي الحِجَّة إنما فُضِّلَ باعتبار أيامه؛ إذ فيه يومُ النحر، ويومُ عرفة، ويوم التروية.

وأما السؤال الثاني؛ فقد سُئِلَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ عن رجل قال: ليلةُ الإسراء أفضلُ مِن ليلة القدر، وقال آخر: بل ليلةُ القدر أفضلُ، فَأَيُّهُما المصيبُ؟

فأجاب: الحمدُ للهِ، أما القائلُ بأن ليلة الإسراء أفضلُ مِن ليلة القدر؛ فإن أراد به أن تكونَ الليلةُ التي أسري فيها بالنبيِّ ﷺ ونظائِرُها مِن كل عام أفضل لأمَّة محمد ﷺ مِن ليلة القدر بحيث يكونُ قيامُها والدعاءُ فيها أفضلَ منه في ليلةِ القدر؛ فهذا باطل، لم يقله أحدٌ من المسلمين، وهو معلومُ الفساد بالاطِّراد من دين الإسلام. هذا إذا كانت ليلةُ الإسراء تُعرف عينُها، فكيف ولم يقمْ دليلٌ معلوم لا علىٰ شهرها، ولا علىٰ عشرها، ولا علىٰ عينِها، بل النقولُ في ذلك منقطعةٌ مختلفة، ليس فيها ما يُقطع به، ولا شُرِعَ للمسلمين تخصيصُ الليلة التي يُظن أنها ليلة الإسراء بقيام ولا غيره،

بخلاف ليلة القدر؛ فإنه قد ثبت في «الصحيحين» عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»(١)، وفي «**الصحيحين**» عنه ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢)، وقد أخبر سبحانه أنها خيرٌ مِن ألف شهر، وأنَّه أنزل فيها القرآن.

وإن أراد أن الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبيِّ ﷺ، وحصل له فيها ما لم يحصلْ له في غيرها مِن غير أن يُشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة؛ فهذا صحيح، وليس إذا أعطىٰ اللهُ نبيَّه ﷺ فضيلة في مكان أو زمان يجب أن يكون ذلك الزمان والمكانُ أفضلَ مِن جميع الأمكنة والأزمنة. هذا إذا قدِّر أنه قام دليل علىٰ أن إنعامَ الله تعالىٰ علىٰ نبيِّه ليلَة الإسراءِ كان أعظمَ من إنعامه عليه بإنزال القرآنِ ليلةَ القدر، وغيرِ ذلك من النعم التي أنعم عليه بها.

والكلام في مثل هذا يحتاج إلىٰ علم بحقائق الأُمور، ومقادير النعم التي لا تُعرف إلا بوحي، ولا يجوز لأحد أن يتكلَّم فيها بلا علم، ولا يُعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراءِ فضيلةً علىٰ غيرها، لا سيما علىٰ ليلة القدر، ولا كان الصحابةُ والتابعون لهم بإحسان يقصدُون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمورِ، ولا يذكرونها، ولهذا لا يُعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراءُ مِن أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يُشرع تخصيصُ ذلك

---

(١) صحيح البخاري: فضل ليلة القدر، باب تَحَرِّي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي الْوِتْرِ مِنَ الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، حديث (٢٠١٧)، وصحيح مسلم: الصيام: باب فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَالْحَثِّ عَلَىٰ طَلَبِهَا وَبَيَانِ مَحِلِّهَا وَأَرْجَىٰ أَوْقَاتِ طَلَبِهَا، حديث (١١٦٩). كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري: الصوم: باب مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا وَنِيَّةً، حديث (١٩٠١)، وصحيح مسلم: صلاة المسافرين: باب التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، حديث (٧٦٠).

الزمانِ، ولا ذلك المكانِ بعبادة شرعية، بل غارُ حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي، وكان يتحرَّاه قبل النبوة لم يقصِدْهُ هو ولا أحدٌ مِن أصحابه بعد النبوة مدةَ مُقامه بمكة، ولا خصَّ اليومَ الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرِها، ولا خصَّ المكانَ الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمانَ بشيء، ومن خصَّ الأمكنة والأزمنة من عنده بعبادات لأجل هذا وأمثاله؛ كان مِن جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمانَ أحوال المسيح مواسمَ وعبادات؛ كيوم الميلاد، ويوم التعميد، وغير ذلك من أحواله. وقد رأىٰ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه جماعة يتبادرون مكانًا يُصلُّون فيه، فقال: ما هذا؟ قالوا: مكانٌ صلىٰ فيه رسولُ الله ﷺ، فقال: أتُريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد؟! إنما هلكَ مَنْ كان قبلكم بهذا، فمن أدركته فيه الصلاة فليصلِّ، وإلا فليمضِ[1].

وقد قال بعضُ الناس: إن ليلة الإسراء في حق النبيِّ ﷺ أفضل مِن ليلة القدر، وليلة القدر بالنسبة إلىٰ الأمَّة أفضلُ من ليلة الإسراء، فهذه الليلة في حق الأمَّة أفضلُ لهم، وليلة الإسراء في حق رسول الله ﷺ أفضلُ له.

فإن قيل: فأيهما أفضلُ: يوم الجمعة أو يوم عرفة؟ فقد روىٰ ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلاَ تَغْرُبُ عَلَىٰ يَوْمٍ أَفْضَلَ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ**»[2]، وفيه أيضًا حديثُ

---

(١) الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/ ١١٨رقم٢٧٣٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٥١رقم٧٥٥٠) وابن وضاح القرطبي في كتاب «ما جاء في البدع» (ص٤١)، وقال الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للربعي (ص٤٩): «رواه سعيد بن منصور في سننه وابن وضاح بإسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين».

(٢) صحيح ابن حبان: الصلاة: ذكر البيان بأن أفضل الأيام يوم الجمعة (٧/ ٥ رقم ٢٧٧٠).

أوس بن أوس: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْس يَوْمُ الجُمْعَةِ**».

قيل: قد ذهب بعضُ العلماء إلىٰ تفضيل يوم الجمعة علىٰ يوم عرفة، محتجًّا بهذا الحديث، وحكىٰ القاضي أبو يعلىٰ رواية عن أحمد أن ليلة الجمعة أفضلُ من ليلة القدر، والصوابُ أن يوم الجمعة أفضلُ أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النَّحر أفضلُ أيام العام، وكذلك ليلةُ القدر، وليلة الجمعة، ولهذا كان لوقفة الجمعة يومَ عرفة مزيَّةٌ علىٰ سائر الأيام من وجوه متعدِّدة:

أحدها: اجتماعُ اليومين اللذين هما أفضلُ الأيام.

الثاني: أنه اليومُ الذي فيه ساعة محققة الإجابة، وأكثر الأقوال أنها آخر ساعة بعد العصر، وأهل الموقف كلُّهم إذ ذاك واقفون للدعاء والتضرع.

الثالث: موافقتُه ليوم وقفة رسول الله ﷺ.

الرَّابع: أن فيه اجتماعَ الخلائق مِن أقطار الأرض للخطبة وصلاة الجمعة، ويُوافق ذلك اجتماعَ أهل عرفة يومَ عرفة بعرفة، فيحصُل مِن اجتماع المسلمين في مساجدهم وموقفهم من الدعاء والتضرع ما لا يحصُل في يوم سواه.

الخامس: أن يوم الجمعة يومُ عيد، ويومَ عرفة يومُ عيد لأهل عرفة، ولذلك كُره لمن بعرفة صومُه، وفي النسائي عن أبي هريرة قال: «**نَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ**»[1]، وفي إسناده نظر، فإن مهدي بن حرب العبدي ليس بمعروف، ومداره عليه. ولكن ثبت في الصحيح من

---

(١) رواه النسائي في الكبرىٰ: الصيام: النهي عن صوم يوم عرفة بعرفة (٢/ ١٥٥-١٥٦رقم٢٨٣٠ و٢٨٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه أبو داود في الصوم: باب في صَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ، حديث (٢٤٤٠) وابن ماجه في الصيام: باب صيام يوم عرفة، حديث (١٧٣٠).

حديث أم الفضل: «**أَنَّ نَاسًا تَمَارَوْا عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ فِي صِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ صَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بِصَائِمٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِقَدَحِ لَبَنٍ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَىٰ بَعِيرِهِ بِعَرَفَةَ، فَشَرِبَهُ**»(١).

وقد اختُلف في حكمة استحباب فطر يوم عرفة بعرفة، فقالت طائفة: لِيتقوىٰ علىٰ الدعاء، وهذا هو قولُ الخِرقي وغيره. وقال غيرهم - منهم شيخ الإسلام ابن تيمية -: الحِكمة فيه أنه عيدٌ لأهل عرفة، فلا يُستحبُّ صومُه لهم، قال: والدليلُ عليه الحديث الذي في «**السنن**» عنه ﷺ أنه قال: «**يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ النَّحْرِ، وَأَيَّامُ مِنَىٰ عِيدُنَا أهلَ الإِسلامِ**»(٢).

قال شيخنا: وإنما يكون يومُ عرفة عيدًا في حق أهلِ عرفة؛ لاجتماعهم فيه، بخلاف أهل الأمصار؛ فإنهم إنما يجمعون يوم النحر، فكان هو العيدَ في حقهم، والمقصود أنه إذا اتفق يومُ عرفة ويومُ جمعة فقد اتفق عيدانِ معًا.

السادس: أنه موافق ليوم إكمال الله تعالىٰ دينَه لعباده المؤمنين، وإتمامِ نعمته عليهم؛ كما ثبت في «صحيح البخاري» عن طارق بن شهاب قال: جَاءَ يَهُودِيٌّ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ آيَةٌ تَقْرَؤونَهَا في كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ اليَهُودِ نَزَلَتْ وَنَعْلَمُ ذَلِكَ اليَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ؛

---

(١) رواه البخاري في الصوم: باب صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، حديث (١٩٨٨)، ومسلم في الصيام: باب اسْتِحْبَابِ الْفِطْرِ لِلْحَاجِّ بِعَرَفَاتٍ يَوْمَ عَرَفَةَ، حديث (١١٢٣).

(٢) رواه أبو داود: في الصوم، باب صِيَامِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، حديث (٢٤١٩)، والنسائي: في مناسك الحج، النهي عن صوم يوم عرفة، حديث (٣٠٠٤)، والترمذي: في الصوم، باب ما جاء في كراهية الصوم في أيام التشريق، حديث (٧٧٣) وقال: «حسن صحيح». كلهم من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

لاتَّخَذْنَاهُ عِيدًا، قَالَ: أَيُّ آيَةٍ؟ قَالَ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: إِنِّي لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، وَالمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ، نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ، وَنَحْنُ وَاقِفُونَ مَعَهُ بِعَرَفَةَ(١).

السابع: أنه موافق ليوم الجمع الأكبر، والموقفِ الأعظم يوم القيامة؛ فإن القيامة تقومُ يومَ الجمعة، كما قال النبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»(٢)، ولهذا شرع الله ﷻ لِعباده يومًا يجتمعون فيه، فيذكرون المبدأ والمعاد، والجنَّة والنَّار، وادَّخر اللهُ تعالىٰ لهذه الأُمَّة يومَ الجمعة؛ إذ فيه كان المبدأُ، وفيه المعادُ، ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقرأ في فجره سورتي (السجدة) و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ لاشتمالهما علىٰ ما كان وما يكونُ في هذا اليوم: مِن خلق آدم، وذكر المبدأ والمعاد، ودخولِ الجنَّة والنَّار، فكان تذكرُ الأمَّة في هذا اليوم بما كان فيه وما يكون، فهكذا يتذكَّر الإنسانُ بأعظم مواقف الدنيا - وهو يومُ عرفة - الموقفَ الأعظم بين يدي الرب سبحانه في هذا اليوم بعينه، ولا يتنصَّف حتىٰ يستقرَّ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

الثامن: أن الطاعةَ الواقعة مِن المسلمين يومَ الجُمعة، وليلةَ الجمعة أكثر منها في سائر الأيام، حتىٰ إن أكثرَ أهل الفجور يحترِمون يوم الجمعة

---

(١) رواه البخاري في الإيمان: باب زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، حديث (٤٥)، وفي الاعتصام: باب (١)، حديث (٧٢٦٨).

(٢) سبق تخريجه.

وليلته، ويرون أن من تَجَرَّأ فيه علىٰ معاصي اللهِ ﷻ عجَّل اللهُ عقوبته ولم يُمهله، وهذا أمر قد استقرَّ عندهم وعلموه بالتجارِب، وذلك لِعظم اليومِ وشرفِهِ عند الله، واختيارِ الله سبحانه له من بين سائر الأيام، ولا ريب أن للوقفة فيه مزيَّةً علىٰ غيره.

التاسع: أنه موافق ليوم المزيد في الجنة، وهو اليومُ الذي يُجمَعُ فيه أهلُ الجنة في وادٍ أَفْيحَ، ويُنْصَبُ لهم مَنَابِرُ مِن لؤلؤ، ومنابِرُ من ذهب، ومنابرُ من زَبَرْجَدٍ وياقوت علىٰ كُثبَانِ المِسك، فينظرون إلىٰ ربِّهم تبارك وتعالىٰ، ويتجلَّىٰ لهم، فيرونه عِيانًا، ويكون أسرعَهم موافاة أعجلُهم رواحًا إلىٰ المسجد، وأقربَهم منه أقربُهم من الإمام، فأهلُ الجنة مشتاقون إلىٰ يوم المزيد فيها؛ لما ينالون فيه من الكرامة، وهو يوم جمعة، فإذا وافق يوم عرفة؛ كان له زيادةُ مزيَّة واختصاص وفضل ليس لغيره.

العاشر: أنه يدنو الرّبُّ -تبارك وتعالىٰ- عشيةَ يوم عرفة مِن أهل الموقف، ثم يُباهي بهم الملائكة فيقول: «**مَا أَرَادَ هؤُلاءِ؟ أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم**»(١) وتحصلُ مع دنوِّه منهم تبارك وتعالىٰ ساعةُ الإجابة التي

---

(١) رواه مسلم: في الحج: باب في فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ وَيَوْمِ عَرَفَةَ، حديث (١٣٤٨)، عن عائشة رضي الله عنها الجملة الأولىٰ.

أما الجملة الثانية: «أُشْهِدُكُم أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم» فهي جزء من حديث آخر عن جابر رضي الله عنهما بسياق أطول: أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٢/ ٢٨ رقم ١١٢٨)، وابن خزيمة في المناسك: باب تباهي الله أهل السماء بأهل عرفات (٤/ ٢٦٣ رقم ٢٨٤٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦٠ رقم ٤٠٦٨)، والبغوي في شرح السنة (٧/ ١٥٩ رقم ١٩٣١)، كلهم من طريق مرزوق مولىٰ طلحة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه.

ولفظه: «إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا

لا يُردُّ فيها سائل يسأل خيرًا، فيقربُون منه بدعائه والتضرع إليه في تلك الساعة، ويقرُب منهم تعالىٰ نوعين من القُرب، أحدهما: قربُ الإجابة المحقَّقة في تلك الساعة، والثاني: قربه الخاص من أهل عرفة، ومباهاتُه بهم ملائكته، فتستشعِرُ قلوبُ أهل الإيمان بهذه الأمور، فتزداد قوة إلىٰ قوتها، وفرحًا وسرورًا وابتهاجًا، ورجاءً لفضل ربِّها وكرمه، فبهذه الوجوه وغيرها فُضِّلَتْ وقفةُ يومِ الجمعة علىٰ غيرها.

وأمَّا ما استفاض علىٰ ألسنة العوامِّ بأنها تعدل ثنتين وسبعين حجة، فباطل لا أصل له عن رسول ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين. والله أعلم.

فصل

والمقصود أن الله ﷻ اختار مِن كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبَه، واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره؛ فإنه تعالىٰ طيِّبٌ لا يحبُّ إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا الطيِّبَ، فالطيِّب مِن كل شيء هو مختارُه تعالىٰ.

وأما خلقُه تعالىٰ فعامٌّ للنوعين، وبهذا يُعلم عنوانُ سعادة العبد وشقاوته، فإن الطيِّب لا يناسبه إلا الطيِّب، ولا يرضىٰ إلا به، ولا يسكُن إلا

إِلَىٰ عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِّينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» الحديث. قال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: «أنا أبرأ من عهدة مرزوق».

إليه، ولا يطمئن قلبُه إلا به، فله من الكلام الكَلِمُ الطيِّب الذي لا يصعد إلىٰ الله تعالىٰ إلا هو، وهو أشدُّ شيء نُفرة عن الفحش في المقال، والتفحُّش في اللسان والبذَاء، والكذب، والغيبة، والنميمة، والبُهت، وقول الزور، وكل كلام خبيث.

وكذلك لا يألف من الأعمال إلا أطيبها، وهي الأعمال التي اجتمعت علىٰ حسنها الفِطَرُ السليمةُ مع الشرائع النبوية، وزكَّتها العقولُ الصحيحة، فاتفق علىٰ حسنها الشرعُ والعقلُ والفِطرةُ، مثل أن يَعبدَ الله وحده لا يُشرِكُ به شيئًا، ويؤثِرَ مرضاته علىٰ هواه، ويتحبَّبَ إليه جُهده وطاقته، ويُحْسِنَ إلىٰ خلقه ما استطاع، فيفعلَ بهم ما يُحبُّ أن يفعلوا به، ويُعَاملوه به، ويَدَعَهم ممَّا يحبُّ أن يَدَعُوه منه، وينصحَهم بما ينصح به نفسه، ويحكم لهم بما يحبُّ أن يحكم له به، ويحمل أذاهم ولا يحمِّلهم أذاه، ويكُفَّ عن أعراضهم ولا يُقابلهم بما نالوا من عرضه، وإذا رأىٰ لهم حسنًا أذاعه، وإذا رأىٰ لهم سيِّئًا كتمه، ويقيم أعذارهم ما استطاع فيما لا يُبطِلُ شريعة، ولا يُناقضُ لله أمرًا ولا نهيًا.

وله أيضًا من الأخلاق أطيبُها وأزكاها، كالحلم، والوقار، والسكينة، والرحمة، والصبر، والوفاء، وسهولة الجانب، ولين العريكة، والصدق، وسلامة الصدر من الغِلِّ والغش والحقد والحسد، والتواضع، وخفض الجناح لأهل الإيمان، والعزَّة والغلظة علىٰ أعداء الله، وصيانة الوجه عن بذله وتذلُّله لغير اللّه، والعِفَّة، والشجاعة، والسخاء، والمُروءة، وكلِّ خلق اتفقت علىٰ حسنه الشرائع والفطر والعقول.

وكذلك لا يختار من المطاعم إلا أطيبها، وهو الحلال الهنيء المريء الذي يُغذِّي البدن والروح أحسنَ تغذية، مع سلامة العبد من

تَبِعَتِهِ، وكذلك لا يختار من المناكح إلا أطيبها وأزكاها، ومِن الرائحة إلا أطيبَها وأزكاها، ومن الأصحاب والعُشراء إلا الطيبين منهم، فروحه طيِّب، وبدنُه طيِّب، وخُلُقُه طيِّب، وعملُه طيِّب، وكلامُه طيِّب، ومطعمُه طيِّب، ومَشربه طيِّب، وملبَسهُ طيِّب، ومنكَحُه طيِّب، ومدخلُه طيِّب، ومخرجُه طيِّب، ومُنْقَلَبُهُ طيِّب، ومثواه كله طيِّب. فهذا ممن قال الله تعالىٰ فيه: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النَّحل:٣٢] ومِنَ الَّذِينَ يَقُول لهم خَزَنَةُ الجنَّة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] وهذه الفاء تقتضي السببية، أي: بسبب طيبكم ادخلاها. وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النور:٢٦]، وقد فسِّرت الآية بأن الكلماتِ الخبيثات للخبيثين، والكلمات الطيِّبات للطيبين، وفسِّرت بأن النساءَ الطيِّباتِ للرجال الطيِّبين، والنساءَ الخَبِيثَاتِ للرجال الخبيثين، وهي تعمُّ ذلك وغيره، فالكلمات، والأعمال، والنساء الطيِّبات لمناسبها من الطيِّبين، والكلمات، والأعمال، والنساء الخبيثة لمناسبها من الخبيثين، فالله ﷻ جعل الطَّيِّبَ بحذافيره في الجنة، وجعل الخبيث بحذافيره في النار، فجعل الدُّور ثلاثة: دارًا أُخلصت للطيِّبين، وهي حرامٌ علىٰ غير الطيِّبين، وقد جمعت كُلَّ طيِّب وهي الجنة، ودارًا أُخلصت للخبيث والخبائث، ولا يدخلها إلا الخبيثون، وهي النَّار، ودارًا امتزج فيها الطيبُ والخبيث، وخلط بينهما، وهي هذه الدار، ولهذا وقع الابتلاءُ والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط، وذلك بموجب الحكمة الإلهية، فإذا كان يوم معاد الخليقة ميَّز الله الخبيث مِن الطيِّب، فجعل الطيِّب وأهله في دار علىٰ حدة لا يُخالِطهم غيرُهم، وجعل الخبيثَ وأهله في دار علىٰ حدة لا يخالطهم

غيرهم، فعاد الأمر إلىٰ دارين فقط: الجنَّة، وهي دار الطيِّبين، والنار، وهي دار الخبيثين، وأنشأ الله تعالىٰ من أعمال الفريقين ثوابَهم وعقابَهم، فجعل طيِّباتِ أقوال هؤلاء وأعمالهم وأخلاقهم هي عينَ نعيمهم ولذَّاتهم، أنشأ لهم منها أكملَ أسباب النعيم والسرور، وجعل خبيثاتِ أقوال الآخرين وأعمالهم وأخلاقهم هي عينَ عذابهم وآلامهم، فأنشأ لهم منها أعظمَ أسباب العِقاب والآلام، حكمة بالغة، وعزة باهرة قاهرة، لِيُرِي عباده كمالَ ربوبيته، وكمالَ حكمته وعلمه وعدله ورحمته، وليعلم أعداؤه أنهم كانوا هم المفترين الكذَّابين، لا رسلُه البررة الصادقون. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٨-٣٩].

والمقصود أن الله ﷻ جعل للسعادة والشقاوة عنوانًا يُعرفان به، فالسعيدُ الطيِّب لا يليق به إلا طيِّب، ولا يأتي إلا طيِّبًا، ولا يصدر منه إلا طيب، ولا يُلابِس إلا طيِّبًا، والشقيُّ الخبيث لا يليق به إلا الخبيث، ولا يأتي إلا خبيثًا، ولا يصدُر منه إلا الخبيثُ، فالخبيث يتفجَّر من قلبه الخبثُ علىٰ لسانه وجوارحه، والطَّيِّبُ يتفجَّر من قلبه الطِّيبُ علىٰ لسانه وجوارحه. وقد يكون في الشخص مادتان، فأيُّهما غلب عليه كان من أهلها، فإن أراد الله به خيرًا طهَّره من المادة الخبيثة قبل الموافاة، فيُوافيه يوم القيامة مطهَّرًا، فلا يحتاج إلىٰ تطهيره بالنار، فيطهِّره منها بما يوفِّقه له من التوبة النصوحِ، والحسناتِ الماحية، والمصائب المكفِّرة، حتىٰ يلقىٰ الله وما عليه خطيئة، ويُمسك عن الآخر مواد التطهير، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة، ومادة طيبة، وحكمته تعالىٰ تأبىٰ أن يُجَاوره أحد في داره بخبائثه، فيدخله النار

طهرة له وتصفية وسبكًا، فإذا خلصت سبيكةُ إيمانه من الخبث، صلَح حينئذٍ لجواره، ومساكنة الطيبين من عباده. وإقامة هذا النوع من الناس في النار علىٰ حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها، فأسرعهم زوالًا وتطهيرًا أسرعُهم خروجًا، وأبطؤهم أبطؤهم خروجًا، جزاءً وفاقًا، وما ربُّك بظلام للعبيد.

ولمَّا كان المشرك خبيث العنصر، خبيث الذات لم تطهِّر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثًا كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرَم الله تعالىٰ علىٰ المشرك الجنَّة.

ولمَّا كان المؤمن الطيِّب المطيَّب مبرَّءًا من الخبائث كانت النار حرامًا عليه؛ إذ ليس فيه ما يقتضي تطهيره بها، فسبحان من بهرت حكمته العقول والألباب، وشهدت فِطَرُ عباده وعقولهم بأنه أحكم الحاكمين، وربُّ العالمين، لا إله إلا هو»[1].

وبهذه الخاتمة تمَّ البحث الذي أرجو من الله أن ينفعني به علمًا وذخرًا، وقد كان غالب عملي فيه الجمع والترتيب بوضع كل شيء في محلَّه.

وقد كان الباعث علىٰ الكتابة فيه هو طلب مشاركة مني في ندوة من جملة الأنشطة التي يقيمها فرع وزارة الشؤون الإسلامية في منطقة جازان، وقد استبدل هذا الموضوع بموضوع آخر دعت الحاجة إلىٰ القيام به، فأحببت أن أبرز هذا البحث كتابًا يُضمَّ إلىٰ ما سبقه، وأُخرجه من الرفِّ إلىٰ الكفِّ. وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبيِّنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

***

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٢-٦٨).

الفهرس

مقدمة ٥
فصل ١٩
فصل ٢٣
فصل ٢٥
أوَّلًا: من خطب الرسول الكريم ﷺ ٣٠
ثانيًا: من خطب الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه في موضوع «العمل لليوم الآخر»..... ٣٢
ثالثًا: من خطب عمر الفاروق رضي الله عنه ٣٤
رابعًا: من خطب عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضي الله عنه..... ٣٧
خامسًا: ومن خطب علي الخليفة الراشد رضي الله عنه ٣٨
سادسًا: من خطب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ٤١
سابعًا: من خطب الشيخ ابن عثيمين خطيب جامع عنيزة رحمه الله موضوع «حماية النبيِّ ﷺ لجناب التوحيد» ٦١
ثامنًا: من خطب الشيخ صالح الفوزان حفظه الله..... ٧١
تاسعًا: خطبة الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- عنوان «وصايا أبي الدرداء رضي الله عنه» ٨٠
عاشرًا: خطبة للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في نعيم البرزخ وعذابه ٩٢

الحادي عشر: خطبة الشيخ علي الحذيفي بعنوان: «أهمية التوبة»..... ٩٤
الثاني عشر: خطبتا جمعة بعنوان «كلمة حق يجب أن تُقال» زيد بن
محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله- ١٠٥
فصل ١١٨
تفسير الفاتحة ١٢١
تفسير سورة السجدة..... ١٢٦
تفسير سورة الجمعة ١٣٩
تفسير سورة المنافقون..... ١٤٥
تفسير سورة الإنسان ١٥٠
تفسير سورة «سبح»..... ١٥٨
تفسير سورة الغاشية ١٦١
الخاتمة..... ١٦٦
فصل ١٨٦
الفهرس ١٩١

* * *